البواكير الأولى لظهور التدوين التاريخي ومراحل تطور مناهج المؤرخين المسلمين في الكتابة

The Early begimnings of the emergence of historical writing and the title of the research the stages of devolopment of the curricula of the soft earth in Writing

Dr. Suad muqdad Naji
Iraqi University / College of Arts

م. د. سعاد مقداد ناجي الأسدي
الجامعة العراقية / كلية الآداب

saudmupdad@gmail.com

الملخص

إنَّ الولوج في موضوع التدوين وبواكير ظهوره يحتاج إلى الخوض في العديد من التفاصيل والبحث ما كان يجول في ذاكرة الإنسان وما كان يدفعه أن يحكي ويملي بأنامله أيام العرب من فتوحاتهم وأنسابهم ومآثهم ومناقبهم والحس القبلي الذي كان يسيطر على جل اهتماماتهم، ولابد من معرفة كيف كان التدوين في بدايته في أمة لا تعرف القراءة والكتابة، وكان نبيها أمي، كيف لها أن تصل إلى هذا الإبداع والبهاء لمدونات ترك بصمة خلابة ورونق يكاد يجول في خاطرة الإنسان بمجرد سماع أسماء هذه الكتب الرنانة التي تنم عن ثقافة موسوعية وحلم وعلم إلى أن وصلت إلى ما عليه الآن، أن المهارة والوعي الذي وصل إليه المؤرخ العربي بمرور قرون من التراكمات الإبداعية لابد لها من بدايات كانت بشواهد قبور وآثار وخطوط متنوعة وجدت في حضارتها ومدنها الواسعة الآفاق، أن البواكير في لسان العربي الذي كان ينقل لنا حضارته وتاريخه من خلال قصائده تنم عن لغة متسقة الكلمات متناغمة من هذه البيئة التي مرت بالكثير لتصل إلى ما عليه اليوم، ومن الجدير بالذكر أن العصر بقادته وعلمائه، فالخلفاء خلال العصور التي مرت كان البواكير الأولى على أيديهم من خلال البحث والتقصي عن من كان لديه العلوم عن الشخصيّات التي عمرت وما زالت تحمل في ذاكرتها الكثير من تراث الأمة، أن تاريخنا الإسلامي وما يحمله في تفاصيله من علم ومعرفة يستحق أن يسلط الضوء على كل ما هو كان مؤثر ومتأثر فيه، وخلال صفحات هذا البحث سنخوض في الكثير من هذه التفاصيل.

الكلمات المفتاحية: البواكير، التدوين التاريخي، المؤرخ الإسلامي، الكتابة.

***

Abstract:

Getting into the subject of religiosity and its greater appearance requires that I focus on many details and research what was transformed in the memory of the genealogy and what was true is that I hope for the days of the Arabs from their conquests and their genealogy and what happened to them and their virtues and the tribal wax that she is a tyrant over most of their interests, nor did she die kit kat sweet in Banaliti, she does not know how to read and write, the shop of her prophet is my mother, how can she reach this bright and dazzling sonnet, she sees a cell and books are read by the name of Nanan cole in these words the culture of are read by the name of Nanan cole is these words the culture of an encyclopedia and a dream accelerated. The king learned that he reached what he is now, that the insight and awareness that the Arab sufferer has reached throuh of basic accumulations, the loed for the common people, beginnings were tombstones, monuments, and metric lines at a time in a civilization that was confined, including the colors of the lanterns, that hemorrhoids are in the tongue the Arabs, who are now conveting civikization and history to us theough poems that speak of the language of the words, are singularly diverse from this environment that has gone through evil to the wretchedness of what is today. About who was the friend of science, about the personalities who passed and still fill theie memory with much of the nation's heritage, that our Islamic history .

Keywords: Early years, historical recording, Islamic historian, writing .

***

توطئة

تعتبر ذاكرة الإنسان أول دواوين التاريخ نشوءاً، فطالما حمل الإنسان في ذاكرته وقائع وأحداث كثيرة مفصلة ومجملة كان شاهداً عليها، حيث أدرك الإنسان بوعيه الخاص أن قسماً كبيراً من هذه الأحداث والوقائع جدير بأن ينقل إلى الآخرين، أما لأهميتهُ أو طرافته، أما لأنه يعنيهم اليوم أو غداً داخل حياتهم بنحو من الأنحاء، أو لرغبة شخصية في التحدث في هذه الأحداث والمشاهدات التي مر بها، وهو بهذا العمل أياً كانت دوافعه ينقل تاريخاً من حيث لا يدري[١].

وهنا يحدث تناقل الأحداث والمواقف حيث يصبح هنا دور الراوي للتاريخ الذي نقل شيئاً من التاريخ، وهو لا يدري لأنَّه يشكل هنا دور النذير الذي ينبه الأذهان لحدوث خطر ما، وهذه هي أبسط حالات العمل التاريخي وأول أدواره، فمثلاً الذي ينقل لأهل القرية أخبار قرية أخرى وأهمها سير جارف فجرف بيوتهم لأنها كانت من القصب الخفيف مبنية على وجه الأرض بصورة مباشرة[٢]، فهو هنا يزيدهم خبرة ومعرفة لأنه ينقل لهم تجربة فيتخذون لبيوتهم أعواداً أقوى من القصب وبرفعونها عن سطح الأرض، أما بصورة منصات من الصخور أو أعمدة قوية يركزونها في الأرض، أو يرتحلون إلى الآكام في موسم الأمطار، وهنا اكتسب أهل القرية خبرة من تاريخ وتجربة القرية الأولى، وهنا يحدث عنها الراوي الذي أصبح دوره نذير في نقل شياً من التاريخ[٣].

وفي مرحلة لاحقة من تطور التجربة الإنسانية أدرك الإنسان أنه يستطيع أن يحتفظ بالكثير من الأحداث والوقائع وصور الحياة المختلفة، وفي مرحلة أخرى كان التدوين هو وسيلة المؤرخ في حفظ التاريخ من النسيان[٤].

ولأجل توضيح وتفصيل البواكير الأولى لظهور التدوين التاريخي سأبدأ بالتسلسل منذ الإشارات الأولى لظهورها وهي:

أولاً: الأساطير:

العرب قبل الإسلام كان لهم أساطيرهم وخرافاتهم التي كانت بمثابة الشكل الهيكلي للمعرفة التاريخية

(١) عبد الحميد، صائب: علم التاريخ ومناهج المؤرخين، دار ومكتبة البصائر، ط٢، (بيروت، ٢٠١٠)، ص١٥-١٦.

(٢) للمزيد ينظر: عفيفي، د.محمد الصادق: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٦-١٩٧٧)، ص٣٠٦-٣٠٩.

(٣) عبد الحميد، صائب: علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص١٥-١٦؛ وللمزيد ينظر: موافي، د.عثمان، منهج النقد التاريخي (الإسلامي- والمنهج الأوربي)، دار المعرفة الجامعية، (د. ت، مصر)، ص٨٧-٩٩.

(٤) عبد الحميد، صائب: علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص١٥-١٦؛ وللمزيد ينظر: خضر، عبد العليم عبد الرحمن: المسلمون وكتابة التاريخ (دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ)، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، (١٩٩٣، الولايات المتحدة الأمريكية)، ص٢٧١-٢٧٣.

في فترة لاحقة من تاريخهم، ولأن الأسطورة هي محاولة إنسانية لسد النقص في الذاكرة التاريخية، فالأسطورة عند العرب كانت كما هي عند غيرهم من الشعوب الأب الشرعي للفكر التاريخي، ولأن الإنسان بطبيعته وتكوينه مجبور على أن يسأل لماذا ولماذا؟ . فأن العرب قد سألوا أنفسهم نفس الاسئلة بطبيعة الحال، فكانت الإجابة هي الأسطورة التي تمثل آراء البداوة حيث كانت تطرق ذهنه وتخلج في قلبهِ وتخطر ببالهِ كل معتقدات الاسئلة التي تفرض نفسها عليه، "أن الأسطورة هي صورة من صور الفكر البدائي حيثما كانت مسطورة أو مطبوعة في ألواح الأذهان، فأن دراسة الأسطورة هي دراسة كل ما سطر عند الجاهليين تاريخاً ودیناً" [١].

لقد عرفت جميع الشعوب والأمم الأسطورة في المراحل المبكرة من تاريخها الفكري، وعرف العرب أيضاً الأساطير في صياغة تعبر عن عقليتهم وتناسب ظروفهم البيئية الطبيعية[٢]، فأن للأسطورة دور مهم وواضح في تفسير حركة التاريخ، كونها تفكير غير قادر على التجربة والاستقصاء أو الترابط بين سلسلة العلل والمعلولات، بل هو تفكير ذو طبيعة تدخل فيها الخوارق ويؤمن بالتأثير المتبادل بين الظواهر عن طريق التشابه والتشاكل والتداعي[٣]، خاصة وأن الإنسان قد اهتم بقضية الخلق ومسألة الصراع بين الخير والشر، والعلاقة بين قوى الطبيعة العليا وتأثيرها في الإنسان[٤]، ولم يكن القاص يؤلف الأخبار والحوادث التي يستعين بها على نصح ووعظ الناس، وإنما كان يستعين بالأساطير القديمة والقصص المتوارثة معتمداً في أقواله على الترغيب والترهيب[٥].

وحتى المؤرخون في بعض الأحيان التزموا أن يسدوا النقص في بعض المعلومات بالموروث الشعبي المتناقل أو ما عرف بالإسرائيليات التي دونت على لسان عدد من رواتها مثل وهب بن منبه وكعب الأحبار (الذين سيرد ذكرهم لاحقاً في تفاصيل البحث)، وما شابه تلك الروايات من أساطير امتزجت بها الحكاية الشعبية بالموروث القديم وبمعتقدات الأمم السابقة وأخذت دون تمحيص وتدقيق، حيث يذكر المسعودي في مقدمة كتابه مروج الذهب ومعادن الجواهر "ما ذكرنا من الأخبار

(١) خان، محمد عبد المعيد: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، ط٣، (بيروت، ١٩٨١)، ص٢٠-٢٢؛ وللمزيد ينظر: فين، بول: أزمة المعرفة التايخية فوكو وثورة المنهج، ترجمة وتقديم: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، (القاهرة ١٩٦٣)، ص٦٣.

(٢) قاسم، د. قاسم عبده: فكرة التاريخ عند المسلمين قراءة في التراث التاريخي العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، (مصر، ٢٠٠١)، ص٦٣.

(٣) راثفين، ك. ك: الأسطورة، ترجمة: صادق الخليلي، منشورات عويدات، (بيروت، ١٩٩٠)، ص٧٦.

(٤) أحمد، كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، (بيروت، ١٩٧٤)، ص٧٢.

(٥) الشكعة، د. مصطفى: مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب)، دار العلم للملايين، ط٦، (بيروت، ١٩٩١)، ص٣٠.

في مبدأ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف من السلف والباقي عن الماضي، فعبرنا عنهم على حسب ما نقل إلينا من ألفاظهم ووجدناه في كتبهم"[١].

لقد وجد الفكر الأسطوري متنافساً في الآداب الملحمية القديمة، حيث لا نكاد نجد ملحمة من ملاحم الشرق والغرب، ألا ووجدنا فيها خضوع الإنسان لقوى الطبيعة مثل ملحمة كلكامش وغيرها، وكذلك فيما يخص الحكاية الشعبية، إذ شغلت الأخيلة جانباً كبيراً عند المسلمين من أدب الرحلات وعند غيرهم[٢]، فهي غالباً ما تعتمد على مدى سعة ذهن الرحالة، ودائماً ما تأتي تصوراته بعد تصديقه لما سمع من حكايات شعبية وقصص، فيما دل بعدها فك رموز تلك القصص ويعلل الظواهر من خلالها والتي تأتي أحياناً من خلال موروثه البيئي والثقافي كي يصيغها بالنهاية بطريقة تتلائم مع قناعاته التي تشكلت بعد سماعه هذه القصة أو تلك، وبذلك يسهل دخوله واختراقها في محيطه الثقافي[٣].

فالأساطير هي بقايا المعتقدات الشعبية وتأملات الإنسان الحسية وطريقته في النظر إلى الحياة، في الوقت الذي كان الإنسان يحلم لأنه لم يكن يعرف، وعندما كان يتصور لأنه لم يكن يرى حقائق الأشياء، بل كان يؤثر بمن حوله بروح ساذجة، كما اعتقد البعض أن الأساطير تشبه الحكاية الشعبية فهما شكل من أشكال التعبير عن الروح الإنسانية بمستويات مختلفة [٤].

ثانياً: القصص:

ذكرت القصص في القرآن الكريم في أكثر من موضع، حيث قال تعالى: {كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا}[٥]، وجاء أيضاً في قوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }[٦].

عرفت القصص قديماً منذ الأيام الأولى لفجر الإسلام، ومما لا شك فيه هي مصدر من مصادر المعرفة العامة، ولا نقصد بالقصة ما هو متعارف عليه في أيامنا المعاصرة كفن مستقل قائم بحد ذاته يعتمد على قواعد وطرق معينة، وإنما أن القصص عند نشأتها كانت للوعظ ولتذكير الناس بيوم الآخرة وصرفهم عن ضروب الملذات إذا ما غرقوا فيها فذلك يؤدي إلى فساد دينهم ودنياهم [٧]، فلم يكن

(١) علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، تحقيق: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت)، ج١، ص٢٣.

(٢) دي لاي، أوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٧٢)، ص٤٣.

(٣) دي لاي، الفكر العربي ، ص٥٨.

(٤) دي لاي، الفكر العربي ، ص٥٨.

(٥) سورة طه، الآية: ٩٩.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٧) الشكعة، د. مصطفى: مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص٢٩؛ وللمزيد ينظر: روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: د. صالح أحمد العلي، مؤسسة

القاص يؤلف الأخبار التي ينقلها على وعظ وإرشاد الناس، وإنما كان يستعين بالقصص المتوارثة، وكذلك الأساطير القديمة معتمداً في أقواله على أسلوب الترغيب والترهيب، ومن هنا نجد أن القاص واعظاً فيستخدم أساليب القصص في وعظ الناس وهدايتهم إلى أخبار وقصص الأقدمين، فما من جبابرة زالوا ولا أباطرة ماتوا، فالذكر الجميل أولى بصاحبه من الذكر القبيح[١].

والقصاصون كان منهم البارعون في سوق أحاديثهم وتنغيمها علواً، وانخفاضاً وكذلك ترديدها إيجازاً وأطناباً إلى الحد الذي يجعلهم يتمكنون من استرداد الدموع والتوبة من السامعين، والقدرة على أبكاء الناس على قدر كبير من البراعة في تقديم ما لديهم من عبر ومواعظ فضلاً عن استخدام الحركات التعبيرية [٢].

جاء الإسلام والقرآن الكريم بنظرة جدية للماضي، فأشار إلى ذكريات العرب الماضية محدودة وثم عاد إلى بدء الخليقة وكذلك أكد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وكذلك ذكر حوادث الشعوب والأمم السالفة، ليؤكد على العبر الدينية والخليقة التي تنطوي عليها [٣].

جاء القرآن الكريم بنظرة عالمية إلى التاريخ، تتمثل في توالي النبوءات، وهي الأساس لرسالة واحدة بشر بها العديد من الأنبياء، وكان النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فكانت لهذه النظرة في القرآن الكريم إلى الالتفات إلى تاريخ الأنبياء والمرسلين وإلى الإسرائيليات، وأن هذه النظرة العالمية اقتصرت على الفترات التي سبقت ظهور الإسلام، وبعد ذلك فأن الاهتمام انصب على المسلمون وتاريخ الإسلام، فهم خلفوا الأمم السابقة التي ظهرت فيها نبؤات وشؤونهم وأعمالهم تستحق عناية كبيرة، فقد شعر العرب في الإسلام بأنهم أصحاب رسالة جليلة، وأنهم يمرون بمرحلة هامة جداً، وأن الفتوحات الإسلامية الكبرى جعلتهم يحسون بأن لهم دوراً تاريخياً كبيراً وخطيراً، وهذا كان له أثر قوي في الدراسات التاريخية [٤].

القصاصون :

إن القصاصون في بداية التدوين التاريخي لم يكن عملهم مقتصر على هذا المجال فقط، بل كانوا أخباريين ورواة لكن الطابع الأكبر على مؤلفاتهم كانت القصة، فيذكر ابن الجوزي "وأما طبقات أصحاب الأخبار والقصص فستة نفر عبد الله بن سلام كعب الأحبار وهب بن منبه طاؤس اليماني

الرسالة، ط٢، (بيروت، ١٩٨٣)، ص٢٥٧-٢٦٣.

(١) الشكعة، مناهج التأليف ، ص٢٩-٣٠.

(٢) الشكعة، مناهج التأليف ، ص٣٠-٣١.

(٣) الدوري، عبد العزيز: نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٧)، ص٤٩؛ وللمزيد ينظر: مؤنس، د. حسين: دراسة في علم التاريخ، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٤)، ص١٢.

(٤) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص١٨.؛ وللمزيد ينظر: شريعتي، علي: الإنسان والتاريخ، ترجمة: خليل علي، تحقيق: محمد بزّي، دار المعرفة، ط٢، (بيروت، ٢٠١٠)، ص١٣.

محمد بن إسحاق محمد بن عمر الواقدي"[١]، وسنأتي في ذكرهم حسب التسلسل التاريخي لهم:

١- كعب الأحبار (ت٣٢هـ/٦٥٢م):

"وهو كعب الأحبار بن مانع، يكنى أبا إسحاق، وهو من حمير من أهل ذي رعين، وكان من ساكني حمص، وبها توفي سنة (٣٢هـ/٦٥٢م) في خلافة عثمان بن عفان" [٢]، وكان كعب الأحبار قد أسلم في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﵁، وكان يتحدث له الكثير من العلوم عن أهل الكتاب، وكان الخليفة عمر يستمع لهُ وذلك تعجباً لما كان يذكره وما يملكه من العلوم، لأن الكثير منها ومن كلامهُ كان يوافق كثير من الحق الذي ورد به الشرع، فأخذ الناس الكثير منه وبدأوا ينقلون ما يورد من كلامه وأخباره وكانت هذه الأخبار على هيئة قصص كثيرة، فكان يتحدث عن بني إسرائيل والعلوم الأخرى، لكن كثيراً ما يقع مما يرويه من قصصه وأخباره غلط كبير وخطأ في الأحداث [٣].

ويذكر ابن كثير في أخباره "وقد ورد عن البخاري عن معاوية أنه كان يقول في كعب الأحبار (وأن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب)، اي فيما ينقله لأنه يتعمد ذلك والله أعلم"[٤]، وقد يكون السبب في ذلك أن رواية الأحداث والقصص قد يدخل فيها المبالغة والتشويق في أسلوب القاص وبذلك تتداخل في أخباره شيء من الكذب والمبالغة[٥].

٢- تميم الداري (ت٤٠هـ/٦٦٠م):

وهو تميم بن أوس بن بني الدار بن هانئ من اليمن من مدينة لخم وكان يكنى (أبا رقية)، وقدم على رسول الله ﷺ وأخوه: نعيم بن أوس مع عدة من بني الدار، يقال كانوا عشرة سنة (٩هـ/١١م) فأسلموا جميعهم، "كان يختم القرآن في سبع ليالٍ"[٦].

لم يكن تميم الداري يقص في عهد النبي محمد ﷺ، ولا الخليفة أبو بكر الصديق ﵁ وأنما كان يقصد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ فقد استأذنه أن يقص على الناس قائماً فأذن لهُ الخليفة عمر ﵁[٧]، ويعتبر تميم الداري من أول القصاصون

(١) أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن (ت٥٠٨هـ/٥٩٧م): تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن الأرقم، ط١، (بيروت، ١٩٩٧)، ص٣٣٥.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الطبري، دار التراث، ط٢، (بيروت، ١٩٦٧)، ج١١، ص٦٢٦-٦٢٧.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث الغربي، ط١، (بيروت، ١٩٨٨)، ج١، ص١٩.

(٤) البداية والنهاية، ج١، ص١٩.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، (القاهرة، ١٩٩٢)، ص٢٩١.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢)، ج٥، ص١٦٩.

(٧) أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م): تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني، مجمد اللغة

في الإسلام، فيذكر الذهبي: "عن ابن سيرين، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أي وعثمان وزيد وتميم الداري"[١].

٣- وهب بن منبه (ت ١١٤هـ/٧٤١م):

وهو أبو عبد الله الصنعاني، عالماً كبيراً، كان صدوقاً قد قرأ كتب الأولين وقرأ وعرف قصص الأنبياء عليهم السلام، كان يُشبه بكعب الأحبار في زمانه، وكلاهما تابعين، لكنه مات قبله بنو من ثمانين سنة فمولد وهب قريباً من وفاة كعب الأحبار، وقيل فيه أنه تابعي ثقة، تولى قضاء صنعاء، وكان أبوه منبه من أهل هراة فأرسل إلى اليمن زمن كسرى فأسلم في حياة النبي محمد ﷺ، وحسن أسلامه، وقيل أيضاً أن وهب بن منبه قال: قرأت ثلاثين كتاباً نزلت على ثلاثين نبياً[٢].

وضع وهب بن منبه كتاب (التيجان في ملوك حمير) جمع في كتابه بين الحادثة التاريخية والقصص الدينية التي جمعت بين الأسطورة والخرافة، وإذا ما عدنا إلى الكتاب فنجد أن الكتاب كان له اهتمام بالتاريخ، فالكتاب لا يعد مرجعاً مصدراً علمياً أو مرجعاً تاريخياً، وإنما يأتي الاهتمام به والحرص عليه من أنه كتاب فني يسجل ميلاد فجر القصة العربية وطريقة روايتها[٣]، فقد حمل أسلوباً قصصياً، وقد حمل الكتاب ما سمى بالإسرائيليات، ففي هذا الجانب فكان من الواضح أنها كانت تحمل أسلوباً يشوق الباحثين والأدباء وذلك لأن الأساطير أصبحت هدفاً في ذاتها، فكانت لها قيمة أدبية وإنسانية وفنية، وبهذا فأن كتاب التيجان يعتبر أول كتاب استخدم القصة لنقل الأحداث التاريخية [٤]، وقد استخدم الكثير من المؤرخين روايات وهب بن منبه مصدراً مهماً لنقل الأحداث المهمة.

ثالثاً: الإسرائيليات :

إن انتشار الإسلام في بلاد كانت تحتضن العديد من الأديان اليهودية والنصرانية والوثنية، وتنشأ فيها المساجد إلى جانب المعابد اليهودية والكنائس المسيحية وبيوت النار المجوسية، قد أدى إلى احتكاك الإسلام بكل هذه الأديان المختلفة عن طريق المجادلات والمناظرات في العقائد والأديان والفلسفة، ومن الضروري ألا يغيب عن البال أمر مهم آخر ألا وهو ما دخل في التفسير، وفي تاريخ العرب من الدس الذي يطلق عليه بـ(الاسرائيليات

العربية، (دمشق، د.ت)، ص٦٤٧.

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، (بيروت، ١٩٩٣)، ج٣، ص٦١٣.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٤٩٦-٤٩٧؛ وابن سعد، أبو عبد الله محمد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٠)، ج٦، ص٧١.

(٣) وهب بن منبه، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أسد (ت١١٤هـ/٧٤١م): التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط٢، (صنعاء، ١٩٧٩)، ص٧-٨.

(٤) وهب بن منبه، التيجان ص٦.

والنصرانيات) عن طريق بعض من أسلم من اليهود والنصارى، ولذلك يوجد الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي وضعت لأسباب شتى ونسبت إلى النبي محمد ﷺ كذباً[١].

وكان الكثير من اليهود والنصارى في الجزيرة العربية قد دخلوا الإسلام، وقسم آخر احتكوا بالمسلمين دون أن يدخلوا الإسلام، فاستعان بعض علماء المسلمين بالرهبان العارفين بدينهم من هؤلاء اليهود والنصارى وليوضحوا لهم بعض إشارات القرآن الكريم إلى الأمور التاريخية المذكورة كما وردت في التوراة والإنجيل، وبالتالي تسربت بعض التفسيرات اليهودية والنصرانية إلى كتب التاريخ والتفسير عند المسلمين، وعرف هذه التفسيرات بـ(الإسرائيليات)[٢].

وأن اتطور الذي شهدته الدولة العباسية عندما بدأ عمليات النقل عن الأمم السابقة من الآداب والعلوم مثل الروم والفرس والهنود وترجمة بعض المعارف العامة التي كتبت في ظل مفاهيم غير الإسلام وأصبغت بها حتى صار من الصعب تجريدها من الفلسفات التي قامت عليها، فسحت المجال في بعض الأحيان لأهل الكلام في التحدث عن الألوهية والتوحيد وفق مصطلحات تقوم على علوم المنطق اليوناني والفلسفة الأغريقية وإقامة المناظرات في المساجد والمنتديات في البصرة والكوفة وبغداد وغيرها من حواضر العالم الإسلامي، وتقسم المدارس الإسلامية إلى مدارس عقلية وأخرى نقلية وثالثة تجمع بينهما وتقوم كل مدرسة بالانتصار لمذهبها لا في فروع الدين وفق الشريعة الإسلامية بل في أصول إسلامية من مسائل العقيدة وعلم التوحيد، ومن هنا بدأ ظهور الكذب في الحديث النبوي الشريف ووجود الوضاعين للأحاديث لأسباب متعددة منها نصرة المذهب والقبيلة والأقليم ثم دخول (الإسرائيليات) في علم الحديث والتفسير وأخبار الأمم وتاريخ الإسلام والمسلمين[٣].

لم يعتني المؤرخون القدامى بتحليل الإسرائيليات وإنما اكتفوا بروايتها فحسب[٤]، وهذه المهمة كانت تقع على عاتق الأخباري أي كل من اشتغل برواية الأخبار مهما كانت صفتها وعاداتها وطبيعتها، أي قام برواية تاريخ ما قبل عام الفيل أو ما بعد عام الفيل إلى ظهور الإسلام، أو أخبار الإسلام[٥]، فنقل الكثير من المؤرخين الذين كان في استطاعتهم أن يجردوا

(١) معروف، ناجي: أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، ط٣، (بيروت، ١٩٧٥)، ص٤١٦.

(٢) الوافي، د. محمد عبد الكريم: منهج البحث في التاريخ والتدين التاريخي عند العرب، منشورات جامعة قازيونس، (بنغازي، د. ت)، ص١٩٤؛ وللمزيد ينظر: أبو سمرة، د. محمود أحمد البرغوثي، د. د. عماد أحمد: منهجية البحث العلمي عند المسلمين، بحث مقدم إلى مجلة الجامعة الإسلامية، مج١٦، ع٢، (القدس، د. ت)، ص٤٤٦-٤٥٠.

(٣) العجلان، عبد الله: حركة التجديد والإصلاح في نجد، ط١، (نجد، ١٩٨٩)، ص٢١.

(٤) ابن قتيبة الدنيوري، المعارف، ص١١٨.

(٥) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، (بيروت، ٢٠٠١)، ج١، ص١١٤.

هذه الإسرائيليات مما ينافي العقل ويأباه المنطق، في الوقت الذي كان بين يدي المؤرخين المسلمين القرآن الكريم يريحهم من كثير مما أوردوا، لو التزموا ما أورد القرآن الكريم من سيرة الأنبياء، ولم يكلفوا أنفسهم العناء في رواية غيرهُ [١].

وقد نقل المؤرخون الكثير من الإسرائيليات في كتب مهمة مثل ابن الأثير الذي روى قصة اليمامة[٢]، وغيرهم الذين نقلوا الأخبار وبالغوا مبالغة تجافي العقل، وسردهم الإسرائيليات والنصرانيات والشعبيات وغير ذلك من القصص المدونة في الكتب، وكذب بعضهم ينافي الحقيقة[٣].

ولكن ابن كثير ينقل لنا رأي مختلف في مقدمة كتابه فيقول: "ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلاّ ما أذن الشارع في نقلهِ مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعينه لذا فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه"[٤]، وهنا اختصر لنا ابن كثير العديد من المفاهيم كونه مؤرخ متقدم شهد العديد من المؤلفات والمؤرخين، لكن ما انطبق على أوائل المؤرخين الأخباريين لا ينطبق عليهم كون أن الإسرائيليات كانت مادة دسمة سدت العديد من الثغرات في بواكير التدوين التاريخي، فكان لابد من الرجوع إليها في بعض الأحيان للتفاخر وذكر الأمجاد، وفي جوانب ثانية للمبالغة والإثارة في أسلوب قصصي يشد القارئ للاهتمام بمؤلفاتهم.

رابعاً: الشعر:

كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمتهم، به يأخذون وإليه يصيرون[٥]، فأن الشعراء في الجاهلية كانوا أهل المعرفة، أي أن طبقة الشعراء في الجاهلية كانوا أعلم أهل زمانهم، وليس بالضرورة أنهم يعتنون بأنواع الشعر المنظم، بقدر ما كانوا أعلم بما يتطلبه نوع معيشتهم مثل معرفة الأنساب ومثالب القبيلة ومناقبهم[٦]، فما كان للعرب قبل الإسلام من اليد الطولى والقدم الراسخة في معرفة أخبار الأمم السابقة وأخلاقهم وسيرهم وسيلتهم ودولهم إلاّ من خلال الشعر، فهو كان خزانة معارفهم وسجل أخلاقهم ومستودع علومهم ومعدن

(١) ابن قتيبة الدنيوري، المعارف، ص١١٨.

(٢) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٩٧)، ج١، ص٣٢٣.

(٣) علي، المفصل ، ج١، ص١١٣.

(٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: د. علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت، ١٩٨٨)، ج١، ص٧.

(٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٨)، ج٢، ص٤٠١.

(٦) أمين، أحمد: فجر الإسلام (يبحث عن الحياة الفعلية في صدر الإسلام إلى آخر الدول الأموية)، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٦٩)، ص٥٥.

أخبارهم، وحافظ آدابهم ومرجعهم عند اختلافهم في الأنساب والحروب، ولذلك قيل (الشعر ديوان العرب)[١].

يقول السيوطي:

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به
والشعر أفخر ما ينبى عن الكرم
لولا مقال زهير في قصائده
ما كنت تعرف جوداً في هَرم[٢]

ويذكر البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) "الشعر منه حسن ومنه قبيح خذ بالحسن ودع القبيح"[٣]، يقول السيوطي، قال ابن فارس: "والشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله ﷺ وحديث صحابته والتابعين" [٤].

كانت القبيلة من العرب إذا نبع فيهم شاعر أتت القبائل الأخرى فهنأتها به، وتصنع الأطعمة، وتجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس والأفراح وتتباشر به الرجال والولدان لأنه يعتبر حماية لأعراضهم، ويخلد مآثرهم ويشيد بذكرهم ويذب عن أحسابهم، فهم كانوا لا يهنئون إلاّ بغلام يولد أو شاعر ينبع فيهم أو فرس تنتج[٥].

وكان لدى العرب لبس في إباحة الشعر خلاف، وقد قال العلماء والصحابة والحاجة كانت تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية ويستدل به في التاريخ والنسب وأيام العرب، ولهذا يقال الشعر ديوان العرب[٦]، يذكر السيوطي "عن ابن سيرين: قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته ولما كثر الإسلام جاءت الفتوح، واطمأن العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يئلوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم منه كثير، وقد كان عند آل النعمان بن المنذر منه ديوان أشعار الفحول، وما مدح به هو وأهل بيته، فصار ذلك إلى بني مروان أو صار منه"[٧].

ويُعد الصحيح من الشعر الجاهلي أفضل مصدر عن فترة الجاهلية وذلك لأن المعلومات عن تلك الفترة قليلة، ولأن أغلب ما سجله

(١) السيوطي، المزهر، ج٣، ص٢١١.
(٢) السيوطي، المزهر، ج٢، ص٢٧٣.
(٣) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م): الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، (الرياض، ١٩٩٨)، ص٤٦٦.
(٤) السيوطي، المزهر، ج٢، ص٣٩٩.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠١.
(٦) ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م): المغنى، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، (بيروت، د. ت)، ج٢، ص٤٤.
(٧) السيوطي، المزهر، ج٢، ص٤٠١.

المؤرخون المسلمون عنها لم يكن ذا قيمة تاريخية مهمة رغبة منهم في إظهار قيمة الإسلام[١]، فأن الشعر الجاهلي كما يطلق عليه أو ما قبل الإسلام الصحيح يصلح أن يكون بمثابة مصدراً مهماً لدراسة الحياة العربية من جميع نواحيها[٢]، وقد سجل العديد من المؤرخين الكثير من الشعر في رواياتهم رغم اعتراض بعض المؤرخين على صحة جميع الشعر الذي أورده المؤرخين، وقد سجل كبار المؤرخين الشعر لأهميته مثل الطبري في تاريخه (٣١٠هـ/٩٢٢م)، وابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) في العقد الفريد، والجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) في البيان والتبيان، وغيرهم، حيث أوردوا الشعر الذي يتضمن حوادث تاريخية مهمة[٣].

يقول دي بور: "أن وحدة الأمة كانت تتجلى في لغتها وشعرها، قبل ظهور محمد ﷺ: وكان الشعراء هم أهل اللغة عند أقوامهم، وكانت قصائدهم الساحرة تنزل في أول الأمر، منزلة وحي الكهان، ولاسيما عند قبائلهم، بل أن تأثير هؤلاء الشعراء كثيراً ما يتعدى قبائلهم"[٤]، وكان لكل شاعر منهم رواية يحفظ عنه ما ينشد ويقول في التجمعات والمواقع حين يصول ويجول، وكل رواية من رواتهم كان يحفظ من القصائد والأراجيز وسائر فنون الشعر الأخرى ما يفوت الإحصاء والحصر[٥].

وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عُشره ولا صناع من الموزون عشره، فإذا احتج أي أحد على تفاصيل النثر على الشعر، بأن القرآن الكريم منثور[٦]، وقد جاء في قوله تعالى: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ }[٧]، يقول السيوطي: "أن الله بعث رسوله آية وحجة على الخلق، وجعل كتابة منثوراً ليكون أظهر برهاناً بفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحب من الكلام وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك، فكما أن القرآن أعجز الشعراء، وهو ليس شعر، وكذلك أعجز الخطباء، وليس بخطبة، والمترسلين وليس بترسل وأعجازه الشعراء أشد برهاناً، ألا ترى العرب كيف نسبوا النبي محمد ﷺ إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم فقالوا هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته،

(١) فياض، د. عبد الله: التاريخ فكراً ومنهجاً (دراسة في التاريخ وأصول بحثه)، مطبعة أسعد، (بغداد، ١٩٧٢)، ص١٨.

(٢) الحوفي، أحمد: الحياة العربية في الشعر الجاهلي، (القاهرة، ١٩٤٩)، ج١، ص٥٣-١٥٦.

(٣) فياض، التاريخ فكراً ومنهجاً، ص١٨.

(٤) ت. ج: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ط٢، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص١٨.

(٥) الآلوسي، محمد شكري البغدادي: بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٨٩٦)، ج١، ص٣٩.

(٦) السيوطي، المزهر، ج٢، ص٤٠٠.

(٧) سورة يس، الآية: ٦٩.

وأنه يقع منه ما لا يلحق والمنثور ليس كذلك"[١]، فمن هنا قال تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَـهُ}[٢]، أي لتقوم عليكم الحجة ويصبح قبلكم الدليل، أنَّ هذا النص يكشف لنا الكثير من أهمية الشعر العربي ومكانته في نفوسهم قبل حياتهم، وما له وقع كبير وتأثير على المجتمع في ذلك الوقت لنقل أحداث وأخبار الأمة.

ومن هنا نذكر رواية ذكرها ابن الجوزي عن مكانة ومواقف الشعراء العرب، حيث قال: "كان طفيل الدوسي رجلاً شريفاً شاعراً كثير الضيافة، فقدم مئة فلقيه رجال من قريش فقالوا أنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أضهرنا، قد أعضل بنا وفرق جماعتنا وشتت أمرنا فأن قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وابنه، وبين الرجل وزوجته، وأنا أخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا فلا تسمع منه، فغدوت المسجد وقد حشوت أذني قطناً فكان يقال لي ذو القطنتين، فإذا رسول الله ﷺ قائماً يصلي فقمت قريباً منه فسمعت قوله في نفسي وأثكل أمي والله أني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا فإذا كان حسناً قبلته وأن كان قبيحاً تركته، فمكث حتى أنصرف إلى بيته، فدخل فدخلت معه، فقلت أن قومك قالوا لي كذا وكذا، فاعرض أمرك عليَّ فعرض عليه الاسم وتلا القرآن الكريم فقلت لا والله ما سمعت قولاً قط أحسن من هذا وبأمر أعدل منه وقلت يا رسول الله أني مطاع في قومي فادع الله أن يكون لي عوناً عليهم فقال: (اللهم اجعل لي آية)"[٣].

خامساً: أيام العرب:

هو علم يبحث فيه عن الوقائع والأحداث العظيمة، والأهوال الشديدة بين قبائل العرب يطلق عليها (الأيام)، فيراد هذه عن طريق ذكر المحل وادارة الحال، وهذا العلم الذي نذكره ينبغي أن يكون فرعًا من فروع التاريخ، وصنف أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت ٢١٠هـ- ٨٢٥م) عن الأيام شيئا كبيرًا وصغيرًا حيث ذكر في الكبير الف ومائتين يوم وذكر في الصغير خمسة وسبعين يومًا، أما أبو الفرج علي بن حسن الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ- ٩٦٦م)، زاد على هذه الأيام الف وسبعمائة يوم [٤].

(١) السيوطي، المزهر، ج٢، ص٤٠٠.
(٢) سورة يس، الآية: ٦٩.
(٣) صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٠)، ج١، ص٣٢٩؛ وللمزيد ينظر: المعافري، جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب (٢١٣هـ/٨٢٨م): السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، (مصر، ١٩٥٥)، ج١، ص٣٨٣؛ المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (٨٤٥هـ/١٤٤١م): امتاع الاستماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفده والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد التميمي، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٩)، ج٤، ص٣٥٧.
(٤) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب شلبي (ت ١٠٦٧هـ- ١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، (بغداد، ١٩٤١)، ج١، ص٢٠٤.

تمثل أيام العرب التي كانت تحتوي على أخبار المعارك والحروب التي خاضتها القبائل العربية ضد بعضها البعض، ولأن الطابع القبلي كان يمثل الخط المهم للحياة الاقتصادية والاجتماعية السائدة، فقد كان ذلك النمط من المعرفة التاريخية بمثابة سجل مهم لمفاخر القبلية وبطولات وانتصارات ابنائها ضد أبناء القبائل الأخرى وقد سمى العرب هذه الأخبار التاريخية (الأيام) لأنهم كانوا في هذه الأيام يتحاربون نهاراً - فإذا جاء الليل وقفوا القتال حتى الصباح [١].

كانت أيام العرب كثيرة على الرغم مما رواه الاخباريون عنها، فإن ما وصلنا منها بالضبط اعداد قليلة مقارنة بعددها الحقيقي، وقد فكرت بعض المصادر أن عبيدة (ت ٢١١هـ- ٨٢٦م)، صنف كتابًا أفرده لرواية (الف ومائتين يوم) من أيام العرب، بيد أن هذا الكتاب ضاع ولم يصلنا حتى الآن [٢]، وقد أحصى ابو الفرج الأصفهاني من أيام العرب الف وسبعمائة يوم جمعها في كتاب افرده لهذا الغرض[٣]، وقد جمع بعض الباحثين المعاصرين وتوصلوا إلى أن الأيام تقدر بأربعة وثمانين يومًا من أيام العرب في كتاب خاص بهذا الموضوع [٤].

إنَّ أيام العرب لا تقل أهمية عن الشعر كمصدر لتاريخ العرب والأيام هي عبارة عن قصص يرويها العرب عن حروبهم وغاراتهم قبل الإسلام، وقد نقلت هذه القصص من جيل إلى جيل وبمرور الزمن أصبحت من التراث الثقافي للقبائل، وقد جمعت تلك القصص ودونت في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وكان غموض المعلومات وندرتها عن فترة تاريخ العرب في الجاهلية أثر واضح في اهتمام الرواة بالقصص آنفة الذكر، وجمع الرواة قصص الأيام ونشروها كجزء من شروح الشعر العربي القديم، ومع هذا قد يبدو الأختلاف واضحًا بين ما وردني بيت الشعر الذي أورده الشاعر، وبين ما تحتويه القصة الموجودة التي تدور حول يوم من أيام العرب [٥].

وعلى الرغم من المسحة الخيالية لأيام العرب فلا شك أن هذه الأيام قد نسجت حول نواة من الأحداث التاريخية الحقيقية بحيث يمكن الاعتماد عليها باعتبارها مصدراً مهماً من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام، فهي توضح شيئاً من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم مثل الفرس والروم وتروى كثيرًا مما كان يقع من أحداث بين القحطانيين والعدنانيين من خلاف وبين العدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع، بل أنها كانت سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من الحروب التي حدثت بين

(١) قاسم، فكرة التاريخ عند المسلمين، ص٦٩.
(٢) سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة الشباب الجامعة، (الاسكندرية، د. ت)، ج١، ص٣٧٤- ٣٧٥.
(٣) الآلوسي، بلوغ الأرب، ج٣، ص٦٨.
(٤) المولى، محمد أحمد جاد علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم: ايام العرب في الجاهليين، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٤٢)، ص١- ١١.
(٥) فياض، التاريخ، ص٢٠.

القبائل، وكذلك وقائع كانت بين البطون والقبائل والأفخاذ كما كان لها تأثير في نشأة علم التاريخ بعد الإسلام [١].

إنَّ ذاكرة الإنسان هي الحكم المهم للعرب قبل الإسلام فكان المحل الطبيعي للكتاب لدى العرب دُون أو لم بدون وفي القُرآنِ الكَرِيمْ شواهد على أنَّهم كانوا يعتبرون الذاكرة محل الكتاب، بغض النظر من اهمية التدوين عندهم [٢]، ولذلك استمر خط الأيام في الإسلام ولكن بصيغة أخرى هي (المغازي) التي أطلقت على مغازي الرسول ﷺ، أما مصطلح الأيام فاستخدم صفة أو مرتبة في العطاء للعرب الذين لم يشهدوا المشاهد التي حدثت مع الرسول ﷺ، إنما خرجوا عندما استنفرهم الخلفاء الراشدون فقيل لهم (أهل الأيام)[٣].

وإذا ما أردنا التعرف على فائدة الروايات الشفوية وهل هي تكمن في وقتها؟ أن الجواب هو أن أهمية رواية الأيام تكمن في استمرارها إلى صدر الإسلام وفي أسلوبها، فأسلوب قصص الأيام مباشر يفيض بالحيوية فيختلط فيه النثر بالشعر، وهذا الأسلوب في الأيام له الأثر في بداية علم التاريخ عند العرب قبل الإسلام، وفي الأواسط القبلية بخاصة[٤]، ويرى بعض الباحثين ومنهم الدكتور طه حسين أن مدة ما قبل الإسلام لم تترك أدبًا مكتوبًا، فهي تعتبر مدة ثقافية شفوية، ومع أن تراثها على العموم أدى إلى استمرار الاهتمام بالأيام والأنساب وإلى بقاء اسلوب الأيام في الرواية وأن هذا الاسلوب القصصي الشبه التاريخي، إلا أنَّهُ يخلو من أية نظرة تاريخية بالمفهوم الدقيق [٥].

وكان لعرب الحيرة وتاريخهم وأمرائهم أثرًا كبير في الأدب العربي، والحياة العقلية للعرب عامة، فبعض الأحاديث والقصص والأساطير كجذيمة الأبرش واساطير الزباء (وهما من الحيرة قبل انشاء الامارة) والسدير والخورنق والتغني بهما والأقاصيص والأمثال التي ضربت فيه ويوم النعمان ويوم نعيمه وبؤسه، كل هذه شغلت جزءًا كبيرًا من الأدب العربي وكلها تتعلق بعرب الحيرة وحياتهم، فكان امراء الحيرة مقصدًا مهمًا لشعراء عرب الجزيرة العربية ينعمون بالمال الكثير ليبشروا بهم بين البدو وبين أنحاء الجزيرة العربية، ونلاحظ أن ديوان النابغة الذبياني مملوء بالقصائد التي قيلت في مدح النعمان وغيره [٦].

(١) كاشف، سيدة: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مكتبة الخانجي، ط٢، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص١٢؛ البهادلي، د. حسين داخل: رواية فتوح جنوب العراق دراسة في الموارد والمضمون ١١- ١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م، بيت الحكمة، ط١، (بغداد، ٢٠١٢)، ص٢٢- ٢٨.

(٢) مرغوليوث، دايفيد: دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة: د. عمار نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، (القاهرة، ٢٠٠١)، ص١٥.

(٣) الحديثي، نزار عبد اللطيف: علم التاريخ عند العرب، منشورات المجمع العلمي، (بغداد، ٢٠٠١).

(٤) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص١٦- ١٧.

(٥) الدوري، نشأة علم التاريخ ، ص١٧.

(٦) أمين، فجر الإسلام، ص١٨.

والحاصل أن العرب هم أتم الناس عقولاً وأحلامًا وأوفرهم افهامًا، وأطلعهم السنة واستتبع ذلك لهم كل فضيلة وأورثهم كل منقبة جليلة [١]، فقوة الحفظ للعرب هي العامل الأساسي في اهتمامهم.

يقول الجاحظ: "فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة وإجالة فكرة ولا استعانة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الحظام أو حين أن يمتدح على رأس بئر أو يحدو ببعير أو عند المقارعة والمناقلة أو عند الصراع أو في حرب - فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالاً - وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا تعيده على نفسه ولا يدرسه أحد من ولده - وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وأقهر وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع وخطباؤهم أوجد - والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أسير من أن يفترقوا إلى تحفظ، أو يحتاجوا إلى تدارس وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله فلم يحفظوا - إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد"[٢].

وثم أن العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم الباقين بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق واللسان ولذلك سموا بهذا الأسم فإنه مشتق من الإبانة لقولهم أعرب الرجال في ضميره إذا أبان عنه والبيان سمتهم بين الأمم منذ كانوا [٣]، فإن العرب وصفوا هم أحفظ من غيرهم فإن الغالب منهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون وأن أغلب عرب البوادي كذلك ولهذا فهم حفظوا أيامهم ووقائعهم وأيامهم وما فيها من شعر وخطب وما جرى بين القبائل من المفاخرات والمنافرات، وكذلك ضبطوا أنسابهم واسماء فرسانهم الذين نزلوا في ميدان حروبهم وحفظوا حجم من أي قبيلة ومن أي أبٍ ينتهون من الأباء الأولين واسلامهم السابقين، وسارت وعرفت بين القبائل تلك الأقوال، التي تعكس الواقع عن أفكارهم ولا تزول منها مدى الليالي والأيام من خزائن خواطرهم - وقد دون المتأخرون ما تلقوه من الثقاة وما سمعوه من أفواه الرواة من أيامهم وأمثالهم وأخبارهم وأشعارهم فبلغ ذلك ما بلغ من المجامع والأسفار حتى تجاوزت دوائر العدو والانحصار، ومع كل هذا بالنسبة إلى ما يصل إليهم قطرة من بحار [٤].

(١) الآلوسي، بلوغ الأرب، ج١، ص٣٨.

(٢) الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن عمر (ت ٢٥٥هـ- ٨٦٩م): البيان والتبيين، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٧، (القاهرة، ١٩٨٨)، ج٣، ص٢٨.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ولي الدين (ت ٨٠٨هـ- ١٤٠٥م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاذه، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٨)، ج٢، ص١٧.

(٤) الآلوسي، بلوغ الأرب، ج١، ص٣٨.

سادسًا: الكتابة.

وردت العديد من الآيات القرآنية التي اهتمت بالكتابة فقد جاء في قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}(١)، وجاء {ن والقلم وَمَا يَسْطُرُونَ}(٢)، وقد ورد في القُرآنِ الكَرِيمْ العديد من المفردات اللغوية ذات العلاقة الوثيقة بالتاريخ بشكل عام والمصطلح التاريخي بشكل خاص، فقد ورد مصطلح التاريخ بمعنى حقبة من التاريخ مضت، وترتبط بالصحف، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} (٣)، كما ورد في القُرآنِ الكَرِيمْ المصطلحات (حَدَّثُ) و (قصَّ) و (نبأ) و (خَبرَّ)(٤)، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ}(٥). وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٦)، وقوله تعالى: {وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ}(٧)، إنَّ هذه الآيات القرآنية الكريمة تعكس لنا أهمية الكتابة لكل هل الكتابة كانت موجودة قبل الإسلام وهل كانت موجودة بالصورة المعروفة عليها في عصر الإسلام.

يتضح أن الكتابة الخطية كانت شائعة بين عرب قبل الإسلام، وخاصة بين من كانت تربطهم صلة بالأمم المجاورة، كطائفة الشعراء والتجار الذين كانوا يوفدون على أمراء التخوم مادحين، أو معتذرين أو شاكين، ومكة المكرمة منذ القدم كانت أحد المراكز التجارية الهامة بين الشرق والغرب، فالكتابة شيئًا ضروريًا لهذه المعاملات التجارية، فضلاً عن أن طبيعة التطور نفسها تنحو بالأمم ناحية الكمال الذي يتطلب مثل هذا اللون من المعرفة (٨)، وأن هذا الاهتمام جذوره كانت أقدم فالإنسان اهتم بماضيه قديمًا ودراسته ويرجع هذا للزمن الذي وجد للإنسان ذاكرة تعي وتحفظ، ولسان ينطق، وينقل ما في فكره، وقد بدأ بتدوين التاريخ منذ أن بدأ يتعلم الكتابة، فبدأ الكهان والملوك يدونون سجلات خاصة بأعمالهم ومنجزات شعوبهم، وبرز هذا الاهتمام من الآشوريون الذين كانوا يهتمون ملوكهم بهذه الحوليات اهتمامًا كبيرًا وعلى الرغم أنها كانت ليس دقيقة بما فيه الكفاية، إلا أنها تضم معلومات واسعة

(١) سورة العلق: الآية ١- ٥.
(٢) سورة القلم: الآية ١.
(٣) سورة الأعلى: الآية ١٨- ١٩.
(٤) يُنظُر: سورة الزلزلة: الآية ٤، سورة يوسف: الآية ١١١، سورة غافر: الآية ٧٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٦) سورة لقمان: الآية ٢٧.
(٧) سورة الطور: الآية ١- ٣.
(٨) حجاب، د. محمد نبيه: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط٢، (مكة المكرمة، ١٩٨٦)، ص٤٩.

وتظهر مدى اهتمامها بدراسة التاريخ [١].

إنَّ الرؤية السوسيولوجية لتاريخ العرب قبل الإسلام تثبت خطأ بدراسة تاريخ عرب الشمال بمعزل من التطور في الجنوب، وأن ذلك يدل على أن بالرغم من تأثير معطيات البيئة الجغرافية ورغم التباينات الثقافية والأنثولوجية بين الشمال والجنوب فإن الهجرات من الجنوب إلى الشمال وما ترتبت عليها من اختلاط الدماء وغدا تكامل عرب الجنوب والشمال في تكامل حركة التجارة داخل الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها بل وارتباط الكيانات السياسية في مدها وجزرها جنوبًا وشمالاً بمدى الإفادة من هذا النشاط، كل هذه التفاصيل دون أي تردد إلى القول بوحدة تاريخ العرب قبل الإسلام [٢].

كان للعرب على صلات كبيرة ومختلفة بالروم والأحباش والفرس قبل الإسلام وكانوا على اتصال مباشر مع أهل الكتاب، وقد سمعوا من هؤلاء وهؤلاء تواريخاً وجاء الإسلام فازداد اندفاع العرب نحو العالم ووثبوا وثبًا في انطلاقاتهم وفتوحاتهم، فتمخضت مادة الوقائع عندهم - وأغرت أحداث التاريخ المتدافقة بالتدوين والتأليف، أن الإسلام كله نهضة علمية وعقلية وكذلك نهضة اجتماعية سياسية نمى حضارة وأقام دولة، وزين هذا كله للتاريخ أن ينضج ويبرز وكان الثقافة والمجتمع والدولة عوامل فعالة في هذا البروز والنضوج [٣].

إنَّ الكتابة لم تكن منتشرة عن العرب في أيام الجاهلية كما غلب عليهم من صفة التبدي فلما تحضر الدولة واتصالهم بالأمم المباشرة شاعت بينهم الكتابة الخطية التي مهدت سبيل الكتابة الخطية ثم ساعدت على ذيوعها ورقية وخلودها على مرَّ الأيام[٤]، وهنا من الضروري ذكر نقطته في غاية الأهمية أن النقوش والكتابات هي المصدر الأوّل والأقدم لتدوين تاريخ العرب قبل الإسلام وهو البداية الحقيقية التي كشفت لنا بداية الكتابة وصورها وصيغتها فالنقوش هي وثائق ذات شأن كبير لأنها الشاهد الناطق الحي الوحيد الباقي من تلك الأيام فهي تنقسم إلى قسمين:

الأوّل: نقوش وكتابات غير عربية تناولت معلومات فيما أوردته عن العرب من المعلومات ومن أمثلتها تلك النقوش والنصوص الآشورية والبابلية [٥].

(١) العزاوي، عبد الرحمن حسين: التاريخ والمؤرخون، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩٣)، ص٤٥. للمزيد ينظر: السلمي، محمد بن صامل: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، وتدريسه، مطبعة الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٤٥- ٧٤.

(٢) اسماعيل، محمود: سيوسيولوجيا الفكر الإسلامي، محاولة تنظير، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د. م، ١٩٨٠)، ج١، ص٤٣.

(٣) عثمان، د. محمد فتحي: المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، ط١، (بيروت، ١٩٩٢)، ص١٢٠. وللمزيد يُنظُر: طه، عبد الواحد ذنون، أصول البحث التاريخي، دار المدار الإسلامي، ط١، (بنغازي، ٢٠٠٤)، ص٦٧- ٧٣.

(٤) حجاب، بلاغة الكتاب، ص٤٧.

(٥) الفياض، التاريخ، ص٢١- ٢٢.

ثانيًا: نصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة، وقد عثر على مجموعة من تلك النصوص في مناطق البلاد العربية أو غيرها من البلدان، وتعتبر النقوش هذه ذات فائدة كبيرة في تدوين تاريخ العرب الجنوبيين بخاصة والبلاد العربية عامة، ومن أمثلة تلك النقوش التي تم العثور عليها (النصوص النبطية) وغيرها [١].

اليمن وبداية الكتابة:

توجد العديد من العناصر الأساسية للكتابة التاريخية في الوطن العربي القديم، والتي أصبحت فيما بعد حقيقة قائمة مثل طرق تدوين الأخبار وهي:

١- القوائم للملوك السومريين وامتدادها البابلية والأكدية والآشورية وكذلك قوائم الملوك المصرية.

٢- كتابة لأحداث تاريخية استغرقت زمنًا طويلاً مثل كتابة المدونات البابلية التي غطت فترات كبيرة من القرن (١٨ ق. م) إلى القرن (٣ ق. م)، وكذلك كتابة الملك السومري أنتمينا لحروب المدن السومرية وتدوينه لأحداث تبعت عصره بأربعة أجيال[٢].

٣- كتابة تاريخ كامل - كما فعل المؤرخ البابلي برعوشا الذي كتب تاريخ بلاد وادي الرافدين من الخليقة إلى الأسكندر (٣٣١ ق. م)، فضلاً عن ظهور ملحمة كلكامش وقوانين حمورابي وغيرها[٣].

يشير الهمذاني إلى سجلات حميرية ووثائق ملكية وهو دليل على وجود شيء من الفكرة التاريخية، وهذه السجلات حفظت واستفاد منها فيما بعد [٤]، إذ كان للظروف السياسية والعوامل الجغرافية أثرها- إذ أن التنافس والعصبية بين عرب الجنوب (اليمن) وعرب الشمال (مضر) كانت مسؤولة بالدرجة الأولى عن مثل هذه الأخبار، ولعلها أدت بالتالي إلى بعض التعصب عند نسابي عرب الشمال، وقد تكون المسافات البعيدة سببًا أعاق علماء الشمال من الحصول على المعلومات مباشرة وزيارة اليمن، ثم أن الرواة الأولين هم أقرب إلى القصاص منهم إلى المؤرخ، وهكذا وصلت إلينا روايات ضئيلة القيمة خالية من الفكرة التاريخية ومن جهة أخرى بصحته أن يكن لفكرة التاريخ الثابت (التقويم) لدى اليمنيين أثر في أحداث تاريخ ثابت وهو (التاريخ الهجري) لدى المسلمون[٥].

وهنا ظهر المركز الثقافي الذي حاول أن يكون بديلاً مستندًا إلى دور اقتصادي وسياسي وهو اليمن منذ قيام الدولة الحميرية وكان له هو أيضًا عناصر وعي تاريخي (الأحداث - التقويم)، غير أن التطور الذي شهده هذا المركز ثقافيًا لا يزال مجهولاً - بسبب ضعف الدراسات الآثارية، فمكتشفاتنا عن تاريخ اليمن ما تزال هي عبارة عن نقوش لأشخاص

(١) الفياض، التاريخ، ص٢٢.
(٢) الحديثي، علم التاريخ، ص٣٧- ٣٨.
(٣) الحديثي، علم التاريخ، ص٣٨.
(٤) الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت ٣٦٠هـ- ٩٧٠م): الأكليل، تحقيق: اوسكار لوفكرن، (ابسالا، ١٩٥٣)، ج١، ص٥.
(٥) الهمذاني، الاكليل، ج١، ص٣٠.

أو لملوك سجلوا أخبارهم ونذرهم، وهي لم توضع بعد في متناول الدارسين بشكل يمكننا من تحليلها غير أن تدقيق مصادر الهمذاني (٣٦٠هـ- ٩٧٠م) في الأكليل يكشف لنا عن حجم المساند التي تعطي فكرة أبعد من مجرد حملة ملك أو نذر نقدم به لآله، وهذا كله إذا ما دل على شيء فإنه يكشف لنا البدايات للكتابة على شكل رموز أو نقوش أو كتابات بدائية أو حتى إشارات لآثار ملك أو قبور وغيرها [١].

الانتقال من البدايات والأيام إلى الكتابة التاريخية:

في البداية لا بد من ذكر نقطة في غاية الأهمية وهو الشائع ما بين كثير من الناس بأن العرب قبل الإسلام كانوا جهالة عمياء وضلالة لا يكتبون ولا يقرؤون، وأن الكتابة كانت قليلة بينهم وقد استدلوا على رأيهم هذا بإطلاقهم لفظة (الجاهلي) على أيامهم، فإن تفسير الجاهلية بالجهل الذي هو ضد العلم هو تفسير مغلوط ، وأن المراد من الجاهلية السفه والغلظة والغرور والحمق، وقد كانت هذه أبرز صفات المجتمع الجاهلي آنذاك [٢]، ويقصد بالأميين "هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب"[٣]، ويذكر الدكتور جواد علي بأنه يراد بالكتاب، أي التوراة والانجيل، ولهذا السبب نعت اليهود والنصارى في القُرآنِ الكَرِيمْ بـ(أهل الكتاب) وهذا المعنى يناسب كل المناسبة لفظة (الأميين) الواردة في القُرآنِ الكَرِيمْ، وتعني الوثنيين، ويعني جماع قريش وبقية العرب ممن لم يكن من يهود وليس له كتاب [٤].

فبالكتابة جمع القُرآنِ الكَرِيمْ وحفظت الألسن والآثار ووكدت العهود - وأثبتت الحقوق وبقيت الصكوك وسيقت التواريخ، وأمن الإنسان النسيان فهي حفظ لذاكرة الإنسان وكذلك قيدت الشهادة فأنزل الله تعالى بذلك آية الدين وهي أطول آية في القُرآنِ[٥]: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ

(١) الحديثي، علم التاريخ، ص٣٩.
(٢) علي المفصل، ج١٥، ص٩٢.
(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ- ١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر كتاب، ط٢، (قم، ١٩٨٣)، ص٢٣.
(٤) المفصل في تاريخ العرب، ج١٥، ص٩٢.
(٥) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ- ٩٤٦م): أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجت الأثري، السيد محمود شكري الآلوسي، المكتبة العربية، المطبعة السلفية، (مصر، بغداد، ١٩٢٢)، ج١، ص٢٤- ٢٥).

كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [١].

إنَّ البيئة الطبيعية تحتاج إلى مستوى من الوعي الاجتماعي ومستوى ثقافي متميز وأكثر من ذلك تحتاج إلى عملية اجتماعية نشطة تصنع التراكم الثقافي وتنظمهُ[٢]، أن ما وصلنا من هذا التراث الثقافي الواسع من الحضارة والأمة الإسلامية فضلاً عن القُرآنِ الكَرِيمْ دليل على ما كان للعرب من وجود أدبي في عصور ما قبل الإسلام حتى على افتراض الشك فيه ووصفه عليهم في عصور لاحقة، إذ الوضع لا يكون إلى فضل أو الأعلى مثال يحتذى ليحمل نفس الطابع وله نفس السمات [٣].

يقول ابن خلكان: "ومما يتعلق بالكتابة أن أول من خط بالعربي اسماعيل عليه السلام والصحيح عن أهل العلم أنَّهُ مرار بن مروة من أهل الأنبار، وقيل أنَّهُ من بني مرة، ومن الأنبار انتشرت الكتابة في الناس وذكروا أن قريشًا سئلوا من أين لكم الكتابة فقالوا: من الحيرة، وقيل لأهل الحيرة من أين لكم الكتابة فقالوا: من الأنبار"[٤]، وفي موضع آخر يذكر: "وروي ابن الكلبي والهيثم بن عدي أن الناقل لهذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز - هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي- وكان قدم الحيرة، فعاد إلى مكة بهذه الكتابة وقالا قيل لأبي سفيان ابن حرب مما أخذ أبوك هذه الكتابة، فقال: من أسلم من سدرة وقال: سألت أسلم من أخذت هذه الكتابة فقال: من واضعها مرارة بن مرة فحدوث هذه الكتابة قبل الإسلام بقليل وكان لحمير كتابة - تسمى المسند وحروفها منفصلة غير متصلة، وكانوا يمنعنون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد، إلا بأذنهم فجاءت ملة الإسلام وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب"[٥].

وهنا يأتي العديد من الخلافات والآراء حول الكتابة وبدايتها وما تميز به العرب وفي هذا الصدد يذكر الصولي نصًا مهمًا: "وقد سمعت بعض من حرم فضيلة الكتابة، يقول: لو كانت الكتابة فضيلة لكانت في رسول الله ﷺ وهو لا يدري أن في ذلك فضلاً لرسول الله ﷺ ونقصًا لغيره، لأَنَّ الكفار ادعوا عليه - أَنَّهُ يصف الكتابة، وأنه يتعلم ما يأتي به في القُرآنِ الكَرِيمْ من أهل الكتاب - وكتبه فهو يقرأه، ويأتي بتفسير شيء منه - ويشرحه بلسانه، وهو ﷺ ما قرأ ولا كتب قط، ولا هيأ الله له طلب ذلك، ولا عرف بتعلمه، لما أراده ﷺ وعز من الأختصاص بالرسالة وايضاح الحجة على من زعم أَنَّهُ يكتب"[٦]، وهنا على الرغم من طول النَّص لكن وجب ذكره لما

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٢) الحديثي، علم التاريخ، ص٣٢.
(٣) حجاب، بلاغة الكتاب، ص٥١.
(٤) شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ- ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان، تحقيق، احسان عباس، دار الثقافة (لبنان، د. ت)، ج٣، ص٣٤٤.
(٥) وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٤٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٦)، ط٢، ج١٧، ص٣١٩.
(٦) أدب الكاتب، ج١، ص٢٤- ٢٥.

هذا الموضوع من أهمية كبيرة ويحمل اختلاف كبير والدليل على ذلك ما ذكره النبي محمد ﷺ قال: "أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين"[١].

أما البلاذري فيذكر نصًا مهمًا في هذا الشأن فيقول: "وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني - صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين، وكان نصرانيًا، فتعلم شبر الخط العربي من أهل الحيرة - ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس، ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب، فسألاه أن يعلمهما الخط. فعلمهما الهجاء، ثم أراهما الخط فكتبا"[٢]، فكان الخط العربي بالغًا مبلغهُ من الأتقان والأحكام والجودة في دولة التبابعة عندما بلغت الحضارة والترف وكان يسمى (الخط الحميري)، ثم انتقل منها إلى الحيرة، لما كان بها من دولة المناذرة نسباء التبابعة في العصبية، والمجددين لملك العرب بأرض العراق [٣]، فضلاً عن أن العرب فضلوا العلم والكتابة وما يتبعها من مهنة الوراقة وأعتبروها حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغه ضمائر النفس حيث البعيد الغائب وتعتبر مخلدة لنتائج الأفكار والعلوم في الصحف، ورافعه رتب الوجود للمعاني [٤].

وقد جاء في القُرآنِ الكَرِيمْ العديد من الايات القرآنية التي تؤكد على الكتابة وأمية النبي محمد ﷺ، وقال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [٥]، وقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} [٦]،

وقال النبي محمد ﷺ: "من ورخ مؤمنًا، فكأنما أحياه"[٧]، وقال: "يوزن يوم القيامة مدار العلماء"[٨].

وقد ذكر المؤرخون العديد من النصوص التي تدل على وجود من يعرف الكتابة في قريش ثم انتشارها وتطورها وزيادة عدد من يعرفون القراءة والكتابة بعد انتشار الإسلام.

(١) البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (اسطنبول، ١٩٨١)، ج٢، ص٢٣٠؛ مسلم النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن ورد (ت ٢٦١هـ- ٨٧٤م)، صحيح مسلم، دار الفكر، (بيروت، د. ت)، ج٣، ص١٢٤؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ- ٨٧١م): السنن الكبرى، دار الفكر (بيروت، د. ت)، ج٧، ص٤٢.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ- ٨٩٢م): فتوح البلدان، مطبعة لجان البيان العربي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، د. ت)، ج٣، ص٥٧٩.

(٣) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج١، ص٥٢٥.

(٤) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ص٥٠٨- ٥٠٩.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٩.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

(٧) حاجي خليفة، ج١، ص٣.

(٨) ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣هـ- ١٠٧٠م): جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧٧)، ج١، ص٣١.

يذكر البلاذري: "عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم العدوي، قال: دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً، كلهم يكتب: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة ويزيد بن أبي سفيان وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وحاطب بن عمرو اخو سهيل بن عمرو العامري من قريش، وأبو سلمة بن عبد الله الأسد المخزومي وأباث بن سعيد بن العاصي بن آمية - وخالد بن سعيد أخوه وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وهو حويطب بن الغري العامري - وأبو سفيان بن حرب بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان، وجهم بن الصلت بن مخزمة بن المطلب بن عبد مناف ومن خلفاء قريش العلاء بن الحضرمي"[١].

وقيل أن أول من كتب له أُبي بن كعب، وكان إذا غاب أبي كتب له - زيد بن ثابت [٢]، فكان نداء أهل بدر أربعين أوقية فمن لم يكن عنده يعلم عشرة من المسلمين الكتابة، فكان زيد بن ثابت هو ممن علم [٣]، فقيل أَنَّهُ قتل من المشركين سبعون وأسر سبعون، وقيل أربعة وسبعون [٤]، ويؤكد كل ما ذكر قوله تعالى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [٥]، فأصبح المسلمون جميعًا ما بين معلم ومسّلم [٦].

إنَّ أغلب المؤرخون يرون أن كتابات الأمم ممن سكنوا الشرق والغرب هي أثنا عشر كتابة وهي (العربية، والحميرية، واليونانية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والقبطية، والأندلسية، والبربرية، والصينية، والهندية، فخمسة منها انتهت وأضمحلت وبطل استعمالها وقد ذهب من يعرفها وهي البربرية والأندلسية واليونانية والحميرية والقطبية، ومنها ثلاثة قد بقي استعمالها في بلادها وقد عدم من يعرفها من بلاد الإسلام وهي الهندية والصينية والرومية، أما الأربعة المستعملات في بلاد الإسلام وهي العربية والسريالية والفارسية والعبرانية [٧].

سابعًا: الخلفاء:

لقد بدأ اهتمام العرب المسلمين بالتاريخ وبالتدوين التاريخي والكتابة فضلاً عن ما ذكرناه من قبل الخلفاء للدولة العربية الإسلامية وسنذكر البواكير الأولى للاهتمام من الخلفاء حسب السبق في الخلافة.

(١) فتوح البلدان، ج٣، ص٥٨٠.
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص١٧٣.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٢٢؛ المقريزي، امتاع الاستماع، ج١، ص١١٩.
(٤) المقريزي، امتاع الاستماع، ج١، ص١١٩.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٢٢.
(٦) العزاوي، التاريخ والمؤرخون، ص٢٦.
(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٤٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٧، ص٣١٩.

١- معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ- ٦٧٩م)[١]:

بدأ اهتمام العرب المسلمين بالتاريخ منذ وقت مبكر ففي عهد معاوية بن أبي سفيان كان يهتم كثيرًا بأخبار الملوك وسواها، وكان يبحث ويدعوا دائماً من يقص عليه من أخبارهم ويترجم سيرهم[٢]، فكان يسهر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامهم والعجم وملوكها وكذلك سياستها لرعيتها وسير ملوك الأمم ومكايدها وحروبها وسياستها وغير ذلك من الأخبار للأمم السالفة، ثم ينام ثلث الليل وبعدها يقوم فيقعد ويحضر الدفاتر التي فيها سير الملوك وأخبارها والمكايد والحروب، ويقرأ ذلك عليه مجموعة من الغلمان مرتبون وقد وكلوا بقرائتها وخفضها، فتمر سمعه كل ليلة مجموعة من الأخبار والآثار والسير وأنواع السياسات [٣].

ومن أشهر من ظهر في عهده من العلماء والمهتمين بالكتابة والكتب:

١- صحار العبدي (ت ٤٠هـ- ٦٦٠م):

وهو صمار بن صخر ويقال له صمار بن عباس بن سرحبيل العبدي من عبد القيس يكنى أبا عبد الرحمن وصاحب رواية وهو من أهل البصرة، وكان بليغاً ومطبوع البلاغة ومشهور بها، وهو الذي قال له معاوية بن أبي سفيان يا أزرق ويقال يعني الأحمر وقد أجاب معاوية عندما سئله عن البلاغة فقال: لا تخطئ ولا تبطئ[٤].

يقول ابن النديم: "كان خارجياً وهو صمار بن عباس أحد النسابين والخطباء في أيام معاوية بن أبي سفيان، وله مع دغفل أخبار، روى عن النبي محمد ﷺ حديثين أو ثلاثة وله من الكتب كتاب الأمثال"[٥].

٢- عبيد الله بن شريه الجرهمي (ت ٦٧هـ-٦٨٦م)[٦]:

أما ما حدث بين معاوية بن أبي سفيان وبين عبيد الله بن شريه الجرهمي، وقد ذكر وهب بن منبه

(١) وهو ضمر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مري بن كعب كان قد أسلم قبيل فتح مكة، وولادة الرسول محمد ﷺ صدقات الطائف. ينظر: الدينوري، المعارف، ص٣٤٥.

(٢) عفيفي، محمد الصادق: تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٦- ١٩٧٧)، ص٣٠٢- ٣٠٣.

(٣) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ- ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجواهر، تقديم: قاسم وهب، الأشراف الفني: زهير الحمو، (بيروت، ١٩٨٨)، ج٢، ص٣٠٠.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، (بيروت، ١٩٩٢)، ج٢، ص٧٣٦- ٧٣٧.

(٥) ابو الفرج محمد بن اسحاق الوراق (ت ٤٣٨هـ- ١٠٤٦م): الفهرست، تحقيق، ابراهيم رمضان، دار المعرفة، ط٢، (بيروت، ١٩٩٧)، ص٧٦، ص١١٨.

(٦) وهو ابن سنان ابي محمد بن عبد الملك بن هشام بن أسد بن موسى عن أبي ادريس وقد أدرك النبي محمد ﷺ ووفد إلى معاوية وقد عمر عمرًا طويلاً؛ ينظر: الدينوري، المعارف، ص٥٣٤.

وقال: "حدثنا عبيد الله بن شريه الجرهمي عن البرقي أَنَّهُ أول من تملك وأخذ المقصورة ووفق على رأسه إذ سجد وجمع الموال وكانت أفضل لذاته - في آخر عمره المسامرة واحاديث من مضى فقال لهُ: عمر ابن العاص، لو بعثت إلى الجرهمي الذي بالرقة من بقايا من مضى فإنه أدرك ملوك الجاهلية- وهو أعلم من بقي اليوم من أحاديث العرب، وأنسابها"[١]، وقد أتى بعد أيام وكان شيخ كبير السن وصحيح البدن، ثابت العقل وعندما دخل سلم على معاوية بالخلافة فرحب به معاوية وقال له: أني أردت أن اتخذك سميرًا لي في ليلي ومؤدبًا لي، ووزيرًا في أمري، وقد أعطى معاوية أمرًا وأنزله بقربه وأخدمه وقد وسع إليه والطفه وقد أمر من يجري وظيفته، وقد كان في وقت السمر هو سميره في خاصته، من أهل بيته وكان بكلامه ومعلوماته يقصر عليه ليله ويذهب عليه همومه وكان يؤنسه على كل سمير، فإذا به يحدثه عن أشعار ووقائع العرب وأخبارهم، فكان معاوية يأمر كتابه وديوانه أن يدونون كل ما يذكره في كتب [٢]، وأمر معاوية كذلك أن يدونون ما يتحدث به عبيد الله بن شريه الجرهمي في كل ليلة وكل مجلس سمر جلس فيه مع معاوية [٣]، فكان يتحدث عن الأخبار المتقدمة، وملوك اليمن وسبب تبليل الألسنية وافتراق الناس في البلاد وغيرها من المسائل [٤].

(١) وهب بن منبه، التيجان، ص٣٢٥.
(٢) وهب بن منبه، التيجان ، ص٣٢٦.
(٣) وهب بن منبه، التيجان ، ص٣٢٧.
(٤) الدينوري، المعارف، ص٥٣٤.

٣- محمد بن الحسين ويعرف بأبن أبي بعره:

كان بمدينة حديثة وله خزانة لم يرى أحدًا مثلها بكثرة ما تحتويها من الكتب العربية في الأدب واللغة والنحو والكتب القديمة ويذكر ابن النديم: "فأخرج لي قمطيرًا كبيرًا فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي[٥]، وكانت المكتبة تحتوي على قصائد ومفردات من أشعارهم وشيء من الحوليات والنحو والأنساب والأخبار والأسماء والحكايات وغير ذلك من علوم العرب[٦]، ويذكر أيضًا ابن النديم: "ورأيت من جملتها مصحفًا بخط خالد بن أبي الهيجاء صاحب علي ﷺ، ثم وصل هنا المصحف إلى أبي عبد الله بن هانئ (رحمه الله) ورأيت فيها بخطوط الامامين الحسن والحسين ﷺ ورأيت عنده أمانات وعهودًا بخط أمير المؤمنين علي ﷺ وبخط كثيرة من كتاب، وبخط غيره من كتاب النبي محمد ﷺ ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل أبي عمر الشيباني، والأصمعي، وابن الاعرابي، والأصمعي، وسيبيه، والفراء، والكسائي، ومن خطوط اصحاب الحديث مثل: سفيان بن عينيه، وسفيان الثوري، والأوزعي، وغيرهم ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود، ووجد أوراق فيها كلام في

(٥) الفهرست، ص١١٨.
(٦) ابن النديم، الفهرست، ص١١٨؛ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ- ١٣٤٨م): أنباه الرواة في أنباه النحاة، المكتبة العصرية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٣)، ج١، ص٤٣- ٤٤.

الفاعل والمفعول من أبي الأسود (رحمه الله) بخط يحيى بن يعمرو وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحته هذا خط النظر بن شميل[١]، ولم نعثر في المصادر العربية عن معلومات أكثر عن هذه الشخصية ما خلا بعض المعلومات التي تؤكد اختفاء كل هذه الآثار الموجودة عند هذه الشخصية بعد وفاته[٢].

٢- مروان بن محمد (ت ١٣٢هـ- ٧٤٩م)[٣].

كان معروف بأبن يديم قراءة سير وأخبار الملوك في حروبهم مع الفرس وغيرها من ملوك الأمم الباقية، بما هو كان ينقله العلماء والرواة في تلك الفترة[٤].

٣- أبو العباس السفاح (ت ١٣٦هـ- ٧٥٣م)[٥].

كان الخليفة أبو العباس يحب مسامرة الرجال، ويعرف بأنه كان أكثر الخلفاء حبًا لمسامرة الرجال والعلماء، وذكر لنا اليعقوبي قولاً كان كثيرًا ما يكررهُ: "إنما العجب ممن يترك أن يزداد علمًا، ويختار أن يزداد جهلاً.

فقال له أبو بكر الهذلي: ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: يترك مجالسته مثلك - وأمثال أصحابك، ويدخل إلى امرأة أو جارية، فلا يزال يسمع سخفًا - ويروي نقصًا، فقال له الهذلي: لذلك فضلك الله على العالمين[٦].

كل هذه المعلومات تدل على بكور التدوين والتصنيف، وكل هذه التصنيفات قد تمت في فترة الخلافة في العصر الأموي حيث تبدأ التدوين في النصف الثاني من القرن الأوّل أو الثاني الهجري كما سنوضح لاحقًا.

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٤٣.

(٢) القفطي، انباه الرواة، ج٢، ص٤٣- ٤٤.

(٣) كنيته أبو عبد الله الملك ويعرف بـ(الحمار)، وهو آخر ملوك بني أمية بويع له في ربيع الأول سنة سبعة وعشرين ومائة، وقيل يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكانت خلافة خمس سنين وثمانية أشهر ويومين، ينظر: ابن العمري، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ- ١١٨٤م): الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق، قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط١، (القاهرة، ٢٠٠١)، ص٥٢- ٥٣.

(٤) مروج الذهب، ج٢، ص٤٢٩.

(٥) وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بويع ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة، مضت من شهر ربيع الأخر عام أثنان وثلاثين ومائة؛ ثم مات في الأنبار يوم الأحد لأثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة عام ستة وثلاثين ومائة وهو ابن ستة وثلاثين سنة، ينظر: البغدادي، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت ٢٤٥هـ- ٨٥٩م): المحبر، تحقيق، أيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، د. ت)، ص٣٤- ٣٥.

(٦) اليعقوبي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٥.

ثامنًا: جمع القُرآنِ الكَرِيمْ.

قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [١]، وقال تعالى: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [٢]، لم يملك العرب قبل الإسلام كتاب لهم يكون مدون، والقُرآنِ الكَرِيمْ هو أول كتاب يعرفونه بفضل نبي الأمة محمد ﷺ وكانت السور والآيات القرآنية التي تنزل على النبي محمد ﷺ بحاجة لمن يدونها ليحفظها من النسيان [٣]، وكان من كتاب الوحي عدد من الصحابة ومن بينهم أُبي بن كعب الأنصاري (ت ٣٠هـ- ٦٥٠م)[٤]، وكذلك أبو الدرداء (ت ٣٢هـ- ٦٥٢م)[٥]، وكذلك زيد بن ثابت (٤٥هت- ٦٦٥م)[٦]، وغيرهم، وكانوا يستخدمون وسائل بسيطة للتدوين الآيات القرآنية والسور وهي وسائل بدائية مثل سعف النحل والرقاع والأضلاع والرقات الأبيض وغيره [٧].

وقد جاء في قوله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [٨]، وقال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [٩]، ومن هنا كانوا حفاظًا للقرآن الكريم حين سيره الله ﷻ للحفظ وصانه من أن يتعرض الصناع شيء منه، عن طريق حفظه في سطور وحفظه في الصدور[١٠].

إنَّ تدوين القُرآنِ الكَرِيمْ بعد جمعه، يعتبر البداية الحقيقية والفعلية الخطيرة لعلم التدوين، وأن عملية جمع القُرآنِ الكَرِيمْ كانت من العناية والدقة والحذق، ولكن الأمر هنا لم يقف بجمع القُرآنِ الكَرِيمْ ولا بالمسلمين عند ذلك الجهد العظيم المخلص، وإنما احتاج المسلمون إلى فهم ما قد يصعب ويستغلق عليهم فهمه ومعرفته من معاني آياته، فكان لا بد من وجود المفسرين، ومن المؤكد ليس كل مسلم هو صالحًا للتفسير، وإنما هي مؤهلات بعينها، ينبغي أن تتوفر لمن يتصدى

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٣) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، تحقيق، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، ط١، (السعودية، د. ت)، ص٨.

(٤) وهو ابن قيس ابو منذر الانصاري، المقرئ المدني البدري، وكني أبا الطفيل، شهد بدر والعقبة وقد جمع القرآن في حياة النبي ﷺ وعرض على النبي محمد ﷺ وحفظ عنه علمًا مباركًا وكان معروفًا بالعلم والعمل، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٣٦.

(٥) هو عويمر بن زيد بن قيس ويقال عويمر بن عامر، وهو الامام القدوة وصاحب رسول الله ﷺ وكان سيد القراء بدمشق وكان حكيمًا وقد روى العديد من الأحاديث عن النبي محمد ﷺ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٤.

(٦) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف، وهو شيخ المقرئين وامام كبير وكاتب الوحي ومفتي المدينة، حدث عن النبي محمد ﷺ ومناقبه جمة ويقال أنه قرأ عليه القرآن الكريم كله أو بعضه، وكان من حملة الحجة، وكان يستشار في الكثير من المسائل، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٧.

(٧) الشكعة، مناهج التأليف، ص٣٨.

(٨) سورة القمر: الآية ٣٢.

(٩) سورة القيامة: الآية ١٧- ١٩.

(١٠) مهران، محمد بيومي: دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعارف، ط٢، (القاهرة، د. ت)، ص٣٤.

لتفسير كتاب الله العزيز أن يتحلى بها، فقد كانت هذه المهمة مناطة إلى صفوة الصحابة ممن عايشوا رسول الله ﷺ أن يقوموا بتلك المهمة كل قدر استعدادهُ وأشهر وأول من جلسوا للتفسير الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي بن كعب وغيرهم وعندما مضى جيل الصحابة ويليه جيل التابعين، الذين أخذوا عن الصحابة من علوم الدين وبينها التغير، ثم بعدها يليه جيل تابعي التابعين، ومع كل جيل من هذه الأجيال تتسع آفاق المعرفة خاصة وأنهم كانوا قد تفرقوا في الأمصار، حيث ألوان جديدة من الثقافات، وهم في نفس الوقت محافظون على ما في صدورهم، من علم موروث بالرواية والدراية وكذلك الجهد المخلص المكتسب [١].

وإن هذه المرحلة التي انصب اهتمام المسلمين بالقرآن جمعًا وتدوينًا وتفسيرًا التي شغلت القرن الأوّل الهجري تقريبًا، وكانوا المهتمون يسمون القرآء [٢]، ولم يتوقف هذا الاهتمام إلى وقتنا الحالي كثيراً أن الابداع فيه متباين أكثره في القرون الأربعة الأولى من التقويم الهجري [٣]، ومن الواجب ذكره أن أشهر المفسرين هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الديلمي المعروف بالفراء (ت ٢٠٧هـ- ٨٢٢م)، الكوفي مولى أسد وقيل أنَّهُ مولى بني منقر، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة، وفنون الأدب- وقيل لو لا الفراء لما كانت عربية لأنَّهُ ضبطها، فلو لا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أرادوا يتكلم الناس عنها على مقادير عقولهم فتذهب وأخذ النحو من أبي الحسن الكسائي [٤].

وهنا تظهر أهمية الفراء لأنَّهُ يعتبر أول من فسر القُرآنِ الكَرِيمْ تفسيرًا أمينًا وكان المأمون (ت٢١٨هـ- ٨٣٣م)، أختاره لأدبه وعلمه ليكون مؤدبًا لولديه والتفسير الذي نقصده كتاب معاني القُرآنِ، ثم بعد ذلك تتابع المفسرون بمدارسهم العديدة ومناهجهم المتباينة، يقول ابن خلكان: "وأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لأملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فهددنا القضاة، فكانوا ثمانون قاضيًا، فلم يزل يمليه حتى أتمه"[٥].

إنَّ جمع القُرآنِ الكَرِيمْ النهائي والمنظم، فقد كان في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لتفرق الصحابة من حفظته في الأقاليم المفتوحة والأمصار التي لم يكن أهلها يعرفون اللغة العربيّة، وأخذ هؤلاء الصحابة يعلمونهم آياته الكريمة [٦]، إلا أن بعض التصريفات بدأت تظهر يدعون أن القُرآنِ الكَرِيمْ

(١) الشكعة، مناهج التأليف، ص٣٨- ٣٩.
(٢) زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، تعليق ومراجعة، د. شوقي ضيف، دار الهلال، (مصر، ١٩٥٧)، ج١، ص٢٤١.
(٣) محمود، اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، سينا للنشر، ط١، (بيروت، ٢٠٠٠)، ص٨٨؛ الحيدري، عباس عاجل جاسم: رؤية المؤرخين المسلمين للحروب الصليبية دراسة في تطور المفهوم والعوامل المؤثرة فيها، دار ومكتبة البصائر، ط١، (بيروت، ٢٠١٠)، ص١٧٠.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٧٦.
(٥) وفيات الأعيان، ج٦، ص١٧٩.
(٦) الوافي، منهج البحث، ص١٨٨.

الذي بين أيديهم أصح من قرآن الأمصار الأخرى فخيف عليه من التزوير فبعث الخليفة عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ- ٦٥٥م)، لكل مصر من الأمصار الإسلامية بنسخة من المصحف الموثق وبصحابي يقرؤه على الناس ويمليه عليهم، وعدد النسخ للمصاحف التي نسخت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أربعة ويقال خمسة ويقال سبعة والراجح أن النسخ كانت سبعة على عدد الأمصار الإسلامية، ثم أرسلت نسخ منه إلى كل من بلاد الشام ومكة والبحرين واليمن والكوفة والبصرة، وأبقي على واحدة منها في المدينة[١].

ومع مرور الوقت قامت حول القُرآنِ الكَرِيمْ دراسات كبيرة وموسعة تحولت شيئًا فشيء إلى حركة علمية واسعة، فنشأت في البداية علوم القُرآنِ من تفسير، الذي ينقسم بدوره إلى التفسير بالمأثور[٢]، والتفسير بالرأي[٣]، وكذلك تأويل وتجويد وقراءات واستتبع ذلك ظهور الأصول والتوحيد والفقه، وما ارتبط بها من علوم لغوية كالنحو والصرف[٤]، وفي ضوء ذلك أصبح القُرآنِ الكَرِيمْ حافزًا ومشجعًا للمسلمين للاهتمام بالتاريخ، فقد ورد في القُرآنِ الكَرِيمْ الكثير من الآيات القرآنية الكريمة توثيقًا لتاريخ المجتمعات التي سبقت الإسلام فقد وردت في القُرآنِ الكَرِيمْ بكل التفصيل وأحيانًا بالاختصار والإيجاز لأَنَّ الهدف منه هي العضة والمعرفة[٥].

تاسعًا: الحديث النبوي الشريف.

الحديث النبوي الشريف هو كل ما ورد عن النبي محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، والحديث النبوي له مكانة كبرى في الدين الإسلامي تلي مرتبة القُرآنِ الكَرِيمْ مباشرة، حيث قال النبي محمد ﷺ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما بعدي أبدًا، كتاب الله وسنتي"[٦]، وقد كان للحديث

(١) الشكعة، مناهج التأليف، ص٣٨- ٣٩.

(٢) وهو تفسير استند عليه علماء الصحابة التي تفسر ما تعلموه من النبي محمد ﷺ ومن أشهرهم عبد الله بن عباس وزيد بن ثابت، وجمعوا تفسير الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ووضعوا في ذلك كتب في العصور ظهرت فيه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ينظر: الكروي، ابراهيم سلمان، شرف الدين، عبد التواب: الحضارة العربية الإسلامية، دار السلاسل، ط٢، (الكويت، ١٩٨٧)، ص٢١٠- ٢١١.

(٣) وهذا التفسير يكون فيه المفسر عادة يوافق العصر، ويقصد إلى حل المشاكل التي تواجههم، ويشرح لهم ألفاظ القرآن الكريم بالطرائق المألوفة لديهم وبالأساليب المعروفة عندهم، وقد اشترط عدة صفات في المفسر، منها أن يكون من اكابر العلماء وأن يكون حسن المعرفة باللغة العربية وقواعدها، وأن يكون عالمًا بالشريعة الإسلامية معرفة جيدة وجيد الاطلاع عليها، ينظر: الكسروي، الحضارة العربية، ص٢١١- ٢١٢.

(٤) الذهبي، محمد السيد حسين: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، (القاهرة، د. ت)، ج١، ص٢٧، مهران، دراسات، ص٣٤- ٣٥.

(٥) الخالدي، محمود: الأحوال الفكرية للثقافة الإسلامية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (عمان، د. ت)، ج١، ص٢٠١- ٢٠٣.

(٦) البزاز، ابو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله (ت ٢٩٢هـ- ٩٤٠م): مسند البزاز، تحقيق: عادل عبد سعد، مكتبة العلوم والحكم، (المدينة المنورة،

الشريف يبين أن النبي محمد ﷺ قيد أو بين أو خصص الكثير من آيات القُرآنِ الكَرِيمْ محملاً أو مطلقًا، أو عامًا، كما جاء في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(١)، وقوله تعالى: {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(٢)، ومن هنا كان الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، ومن ثم هو أصدق المصادر التاريخية بعد القُرآنِ الكَرِيمْ لمعرفة تاريخ العالمي في عصوره القريبة والبعيدة(٣).

كان السبب لكراهية تدوين الحديث النبوي الشريف هو يرجع إلى خوفهم من اهمال القُرآنِ الكَرِيمْ، والاهتمام بدراسة غيره وكذلك الخوف الاتكال على الكتابة وترك حفظه وإلى الخوف أن يصير العلم إلى غير أهله (٤)، ولذلك كان الاعتماد الكبير على السماع دون القراءة، فاتباع اسلوب السماع والمشافهة والاعتماد على الحفظ، هو السير على سنة وسيرة الرسول الكريم ﷺ، وكان كل الحرص أن تقتصر الكتابة على القُرآنِ الكَرِيمْ فقط (٥)، فالصحابة ارادوا أن يكون القُرآنِ الكَرِيمْ هو الكتاب الوحيد المدون، وأن كل الدراسات عنه يجب أن تقوم على السماع والمشافهة، والسبب في ذلك هو صيانة القُرآنِ الكَرِيمْ وعدم افساح المجال لاحتمال أن يدخله ما ليس فيه (٦)، وهناك العديد من العوامل التي دفعت إلى عدم تشجيع تدوين الكتب منها، ومنها منع الخطر المحتمل من اهتمام الناس بهذه الكتب وتعلقهم فيها وانصرافهم إليها مما قد يؤدي إلى أن تأخذ هذه الكتابة أهمية كبيرة فتشغل الناس عن القُرآنِ الكَرِيمْ ودراسته (٧)، قال ابن عباس وكان ينهي عن كتابة العلم: "وإنما أضل من قبلكم الكتب"(٨).

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجل فقال يا رسول الله أني اسمع منك حديثًا كثيرًا فأحب أن أحفظه فلا أنساه، فقال النبي ﷺ "استعن بيمينك""(٩)، وعن النبي محمد ﷺ قيدوا العلم، قلت: يا رسول الله وما

٢٠٠٩)، ج١٥، ص٣٨٥.

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٣) المشهداني، د. محمد جاسم حمادي: التدوين التاريخي عند العرب، (مدرسة بغداد، التاريخية انموذجًا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (بغداد، ٢٠١٣)، ص٢٤- ٢٦.

(٤) المشهداني، التدوين التاريخي عند العرب، ص٢٤- ٢٦.

(٥) العلي، د. صالح: الرواية والاسناد، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٣١، (بغداد، ١٩٨٠)، ج١، ص١٦- ١٧.

(٦) العلي، د. صالح، الرواية والاسناد، ص١٣.

(٧) العلي، د. صالح، الرواية والاسناد ، ص١٣.

(٨) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت ٤٦٣هـ- ١٠٧٠م)، مركز احياء السنة النبوية، (بيروت، د. ت)، ص٤٣.

(٩) الخطيب البغدادي: تقييد العلم ، ص٦٦.

تقييده؟ قال: (الكتاب)[١].

وعن القاسم بن محمد أنَّه، "كره كتابة الحديث"[٢]، ويروى عن التابعين أنَّهم كانوا يكرهون الكتاب، ومع ذلك فإن علماء الصحابة ومن بعدهم يدونون ما يحتاجون إليه من الأخبار والأحاديث حتى يتمكنوا من اتقان حفظها، ولكي يعودوا إليها وقت الحاجة، ولم يكن هدفهم من الكتابة والتدوين نشر هذه المدونات والصحف بين الناس ليتناقلوها كما هو الحال في المؤلفات اليوم، وإنما كان هدفهم، هو حفظ العلم حتى لا يضيع ومساعدة الذاكرة على الحفظ، ولذلك وردت أخبار كثيرة منهم بأنه كان يكتب فإذا حفظ محاه.

وقد نهى النبي محمد ﷺ عن التدوين لحديثه خشية أن يؤدي ذلك إلى حدوث خلط لدى الجهلاء بين نصهُ ونص القُرآنِ الكَرِيمْ، وأدى هذا النهي عن تحرج العديد من الصحابة ممن كانوا يحفظون الحديث من روايته فامتنعوا عن ذلك امتثالاً لأوامر النبي محمد ﷺ وخشية الوقوع في التحريف أو الكذب أو الخطأ[٣]، ويعزى إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله للصحابة: "إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جوّدوا القُرآنِ الكَرِيمْ وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وأمضوا وأنا شريككم"[٤]،

وقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ- ٧١٩م)، إلى الآفاق: "انظروا حديث رسول الله ﷺ فأكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء"[٥].

وكتب كذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم يأمره: "أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عمره فأكتب فأني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله"[٦]، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله في حجة الوداع: "أن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السَّموات والأَرض، والسنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم"[٧].

وهذا الحديث يعكس لنا الوعي باستمرار الزمن واتصاله وتجدده وعندما خاطب ﷺ العرب في حجة الوداع أيضًا قال: "الا يبلغ الشاهد منكم الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من ادعى له فيه"[٨]، وقد

(١) الخطيب البغدادي: تقييد العلم ، ص٦٩.
(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم ، ص٤٦.
(٣) الوافي، منهج البحث، ص٢٠٤.
(٤) الستار، محمد الغزالي: فقه السيرة، تخريج الأحاديث، محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، ط١، (دمشق، ٢٠٠٦)، ص٤٠.
(٥) السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، تحقيق، ابو قتيبة، مراجعة محمد الفاريابي، دار طيبة، ج١، ص٩٤.
(٦) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص١٠٥.
(٧) البيهقي، ابو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ- ١٠٦٥م): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٤)، ج٥، ص٤٤١.
(٨) ابن حبان، محمد بن احمد البستي التميمي (ت ٣٥٤هـ- ٩٥٦م): الثقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الدكن، ١٩٧٣)، ج١، ص١٠.

يعكس لنا هذا النَّص عن فكرة التاريخ أو التفكير بالكتابة أو الرواية التاريخية وكذلك حفظ الأخبار وتوثيق روايتها ونقلها والصفة الأساسية للمسؤولين عن حفظها والتبليغ عنها بكل صدق [١].

لقد بدأ هذا الدور بعد وفاة النبي محمد ﷺ وانقطاع الوحي وانتشار الصحابة في أماكن مختلفة، وهنا برزت الحاجة الملحة لهذا العلم وازداد شعور الصحابة بذلك، إذ لم يمكنهم من الرجوع إلى النبي محمد ﷺ، وكذلك برزت الحاجة الملحة إلى علم النحو واعتبر من أهم مراحل اليقظة والتشبث والحذر والتحري وزيادة الحفظ، وبدأت الرحلة إلى طلب الحديث واشتهر مجموعة من الصحابة بذلك لحرصهم الشديد على نقل حديث النبي محمد ﷺ [٢]، حيث شهدت النصف الأوّل من القرن الأوّل الهجري اهتمام علماء الحديث بنقل وكتابة الحديث النبوي الشريف حيث تميزت مراحل هذه الفترة بـ:

١- التشبث الكبير في أخذ الأخبار وكيفية ضبطها والانتباه لها ووعيها، والتدقيق في نقلها للآخرين.

٢- الاعتدال في رواية الحديث عن النبي محمد ﷺ من خلال الحذر والتحذير من الكذب عن الرسول ﷺ.

٣- نقد المتن واليقظة والحذر من أهل الأهواء والفتن، ومن هنا يظهر أن الصحابة كانوا من أول من بدأ بانشاء ما يوف بـ(علوم الحديث ومصطلحه)[٣].

لكن أن كتابة الحديث النبوي الشريف أبيحت أبان المئة الأولى الهجرية بنطاق محدد جدًا وبصورة فردية، من أجل المساعدة في حفظ الحديث، ولم يقتصر على الحديث النبوي الشريف، وإنما امتد إلى الميادين الأخرى للفكر، فلا بد من أن تكون هنالك دوافع أعم أثرًا في اعتماد الحركة الفكرية على سماع المشافهة دون التدوين والكتابة. يقول الخطيب البغدادي عن الزهري: "كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا أن لا نمنعه أحدًا من المسلمين"[٤]، فكان في سنة (١٠٠هـ- ٧١٨م) أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بجمع حديث النبي محمد ﷺ التدوين الرسمي الشامل وقد وجه أمره للأمصار الإسلامية والآفاق، وهنا يقول السيوطي "وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره"[٥].

وفي سنة (ت ١٤٣هـ- ٧٦٠م) شرع في هذا العصر علماء الإسلام في تدوين الحديث النبوي الشريف والفقه والتفسير، ويذكر الذهبي: "فصنف ابن جريح التصانيف بمكة وصنف سعيد بن ابي عروبة،

(١) الحديثي، علم التاريخ، ص٤٦.

(٢) القضاة، د. علي مصطفى: المراحل التاريخية لعلم مصطلح الحديث وأشهر ما صنف فيه، بحث منشور في دورية كان التاريخية، ع ٤، (الأردن، ٢٠٠٩)، ص٥٠- ٥١.

(٣) عنتر، نور الدين: المدخل إلى علم الحديث بمقدمة علوم الحديث لابن صلاح، المكتبة العلمية، ط١، (المدينة المنورة، ١٩٧٢)، ص٢.

(٤) تقييد العلم، ص١٠٧.

(٥) تدريب الراوي، ص٩٤.

وحماد بن سلمة، وغيرهما بالبصرة وصنف الأوزعي بالشام، وصنف الموطأ بالمدينة، وصنف ابن اسحق المغازي وصنف معمر باليمن وصنف ابو حنيفة وغيره الفقه بالرأي بالكوفة وصنف سفيان الثوري كتاب الجامع، ثم بعد يسير صنف هُشيم كتبهُ، وصنف الليث بمصر وابن لهيعة، ثم ابن المبارك، وابو يوسف وابن وهب وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر، كان سائر الأئمة يتكلمون عن حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحه غير مرتبة، فسهل ولله الحمد تناول العلم"[١].

وإذا ما أردنا أن نوضح فضائل وأهمية تدوين الحديث النبوي الشريف فعن طريقه انتشرت في العالم الإسلامي أنواع من الثقافة عدة، فالتاريخ الإسلامي بدأ بشكل مختلف وحديث كالذي ترى في كتب الحديث من فضائل أمم وفضائل أشخاص ومفاز، ثم تطور التاريخ إلى أن صار كتبًا قائمة بنفسها، ثم تطور التدوين إلى أن صار كتبًا قائمة بنفسها ومستقلة، والدليل على ذلك كتب السير وفتوح البلدان، التي يكاد يكون اسلوبها ونمطها بشكل حديث واسلوب حديث وكذلك قصص الأنبياء وما إليهم جاءت في القُرآنِ الكَرِيمْ وتوسع فيها الحديث، ومن ثم توسع القصاص فكان القصص والحكم وقواعد الأخلاق وشيء من فلسفة الهند والفرس واليونان وضعت في الحديث وضعًا، وانتشرت بين الناس على أنها دين، فكان لها من الأثر في الناس ما ليس للتعاليم الدينيوية، وفوق ذلك كان الحديث أوسع منبع للتشريع في المسائل المدنية والجنائية والعبارات وغير ذلك [٢].

وهنالك فئة أخرى من واضعي الأحاديث التي تخص فعل الخير والعبادات وفعل الشر وتنهي عن المنكر، وقد ظنوا بذلك أنَّهم يقدمون للدين والأخلاق قيمًا ومعايير وأنهم بهذا التصرف يصفون الناس على طريق الصواب، وظهور العديد من الطرائق التي كانت هدفًا وضع لتزيين الإسلام [٣]، وأمام ذلك كله يتضح كفاءة رجال الحديث وبعد نظرهم وادراكهم لمهامهم التي تصدوا لها وانجزوها بدقة وحصانة ومقدرة عاليتين، الأمر الذي جعل رواد المنهج العلمي في التأليف والتصنيف في علم الحديث والتاريخ الإسلامي[٤].

إحدى عشر: بدايات التدوين التاريخي.

لم يظهر حتى الآن اتفاق على بدء التدوين التاريخي، وحتى الدراسات الحديثة انطلقت من

(١) تاريخ الإسلام، ج٩، ص١٣؛ ابن تغري بردى، ابو المحاسن بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ- ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، (مصر، د. ت)، ج١، ص٣٥١.

(٢) أمين، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٦٩)، ص٨١.

(٣) الشكعة، مناهج التأليف، ص٤٢- ٤٣.

(٤) للمزيد يُنظُر: الأسدي، سعاد مقداد ناجي: اتجاهات الكتابة التاريخية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (دراسة تحليلية)، دار ومكتبة عدنان، ط١، (بغداد، ٢٠١٨)، ص٦٩.

بدء الكتابة عمومًا وهي مصدر التعقيد إلى حد ما، فإذا أردنا أن نحدد تحديدًا دقيقًا لبدء التدوين والكتابة التاريخية أصبح لزامًا هنا أن نحدد مصطلح التدوين، والتدوين هنا المقصود منه هو الكتابة الموضوعية، وليست الكتابة التي تقتضيها حاجات الدولة، أو الأفراد، ثم بعدها علينا أيضًا، فالتدوين هنا هو تدوين التاريخ، وهناك تدوين قبل الإسلام ولدينا اشارات كثيرة عنه بغض النظر عن المادة الأولية للكتابة سواء نقوش أو أرقام أو بردي والنقوش على الصخر وغيرها من المواد الأخرى [١]، غير أن قريشًا كانوا يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل، وكان سائر العرب يؤرخون بأشهر أيامهم كيوم الكلاب الأوّل وجبلة والكلاب الثاني، وكذلك النصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذو القرنين وكان الفرس يؤرخون بملوكها[٢].

يقول الطبري: "ينبغي أن يكون على تاريخ اليهود - فإنما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة ولم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك، غير أن قريشًا كانوا فيما ذكر، يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة - كتاريخهم بيوم جبلة، وبالكلاب الأوّل، والكلاب الثاني، وكان النصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذي القرنين، وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم - وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم وهم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزدجر بن شهريار، لأنَّهُ كان آخر من كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق [٣].

إنَّ النبي محمد ﷺ أرخ بالهجرة حيث كتب الكتاب لنصارى نجران - وأقر عليًا أن يكتب فيه: "إنَّه كتب لخمس من الهجرة" فالمؤرخ هنا أذن رسول الله ﷺ والخليفة عمر بن الخطاب (٢) تبعه في ذلك ويقال: هذا (صريح) في أنَّه أرخ سنة خمس والحديث الأوّل فيه أنَّه أرخ يوم قدم المدينة [٤].

ويذكر في موضع آخر السيوطي: "أول من كتب التاريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته وكتب لست عشرة من المحرم بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[٥]، ويؤكد البخاري ذكر بقوله: "كان التاريخ في السنة التي قدم فيها النبي ﷺ"[٦]، أما الذهبي فقد حدد بداية التدوين التاريخي في الإسلام سنة (ت ١٤٣هـ- ٧٦٠م)، وهذا التاريخ من الممكن قبوله بزيادة بضع سنين أو نقصها، فإذا ما فهمنا من التدوين تلك العملية الواسعة التي تمت بإشراف الدولة ابتدأ من عهد الخليفة المنصور العباسي (ت ١٥٨هـ- ٧٧٥م)، الذي تولى الخلافة ما بين سنة (ت ١٣٦هـ- ١٥٨هـ) (ت ٧٥٣م- ٧٧٤م)، والتي طبعت وظهرت الحياة الاجتماعية والفكرية العربية الإسلامية بطابعها لفترة امتدت نحو قرن أو يزيد من الزمن، فأصبحت علمًا وصار ذلك

(١) الحديث، علم التاريخ، ص٥٣.
(٢) السيوطي: التماريخ في علم التاريخ، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، ج١، ص١٠.
(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١٩٣.
(٤) السيوطي، الشماريخ، ج١، ص١٢.
(٥) السيوطي، الشماريخ ، ص١٤.
(٦) التاريخ الكبير، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، فهرست: يوسف المرعشي، دار المعرفة، (بيروت، د. ت)، ص٤٢.

العصر يسمى (عصر التدوين)[١].

وإن النَّص كذلك حدد الأماكن أو الأمصار التي انطلقت منها عملية التدوين تلك وهي المدينة، ومكة، والبصرة، واليمن، والكوفة ويمكن أن نضيف مصر وخراسان، أما بغداد، فلم تكن آنذا موجودة إذ المعروف أن الخليفة المنصور العباسي لم يشرع في بنائها إلا في سنة (ت ١٤٥هـ- ٧٦٢م) وهذه الأمصار كانت تستقطب الرجال الحاصلين في صدورهم ووثائقهم الموروث الإسلامي الذي كان قد بدأ يتضخم ويتشعب [٢]، وأن الفضل الكبير لظهور التدوين لا يرجع إلى العرب أو الفرس أو غيرهم، وإنما يعود إلى العقيدة الجديدة التي شجعت وحضت الجميع على العلم ودفعت بهم إلى المعرفة فكان التصنيف ثم التأليف ثمرتين مهمتين لهذه المعرفة، وكان الدقة وسلامة المنهج وعلامات التشبث وسمات التأني كلها نابعة من التجربة الرائدة التي قام بها علماء الحديث على مدى أعوام متتابعة وموصولة في حلقة عقود متعاقدة ومتلاحقة من السنين في نطاق قرون مرتبطة من الزمان [٣].

إنَّ التدوين وعلم التاريخ عند العرب تطور طبيعي في الاسلام، فالدين الجديد وتكوين دولة جديدة ممتدة الأطراف، ووضع التقويم الهجري الثابت، كل هذا هيأ الأساس، فضلاً عن الاتجاهات الإسلامية المتمثلة بالاهتمام بسيرة النبي محمد ﷺ وباجماع الأمة وخبراتها وبآراء علمائها وأحكامها وبكل الحوادث الكبرى التي حددت سيرها التاريخي، كانت من الدوافع المهمة لدراسة التاريخ في المدينة، ومن جهة أخرى استمرت الاتجاهات القبلية نحو العناية الشعر والأنساب والأيام في المراكز القبلية الجديدة في الكوفة والبصرة في اطار جديد، ووجدت حوافر جديدة في التيارات الاجتماعية والسياسية والمدنية الجديدة وراء هذين الاتجاهين كان هناك الشعور لدى الجميع برسالة تاريخية، وهذا يفسر لنا درجة التنوع والسعة في الكتابة التاريخية [٤].

يقول المؤرخون: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"[٥]، ومن فوائد التاريخ كما يذكر السيوطي: "معرفة الآجال وحلولها وانقضاء العدد وأوقات التأليف ووفاة الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم - فيعرف كذب الكذابين وصدق الصادقين"[٦]، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

(١) طرابيشي، جورج: اشكاليات العقل العربي، دار الساقي، ط١، (بيروت، ١٩٨٨)، ص١١- ١٢.
(٢) طرابيشي، اشكاليات العقل، ص١٢٥.
(٣) الشكعة، مناهج التأليف، ص٥٥.
(٤) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٤٩.
(٥) ابن صلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٤م): مقدمة ابن صلاح، تحقيق، وشرح وتخريج، ابو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عوضة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٥)، ص٢١٦؛ الباجي، سلمان بن خليف (ت ٤٧٤هـ- ١٠٨١م): الجرح والتعديل، تحقيق، احمد البزاز، وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية، (مراكش، د. ت)، ج١، ص٤٢؛ السيوطي، التماريخ، ج١، ص١٨.
(٦) الفياض، التاريخ، ج١، ص١٧.

تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}[١]، إنَّ أهل الأخبار والسيرة رسموا في آواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي الأبواب الأساسية للتاريخ عند العرب، وهي في الأساس لا تعدوا أربعة أمور: أخبار الماضي، السيرة، احوال العرب قبل الإسلام، أخبار الدولة الإسلامية[٢]، وقد مرَّ التدوين بمراحل:

أولاً: المرحلة الأولى

لقد رافق المرحلة الأولى، كما سوف يرافق التاريخ الإسلامي في جميع مراحله وتطوراته المقبلة وجود جمهور واسع من رواة الأخبار والتاريخ، يحدثون بما يعرفون ومن هؤلاء في المرحلة الأولى [٣]:

كان عروة بن الزبير (ت ٢٣هـ- ٦٤٤م/ ٩٤هـ- ٧١٣م) هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وكان عالمًا بالدين وصالحًا كريمًا وعن ابن سعد يقول: "عن هشام بن عروة، قال: أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له، فكان يقول بعد ذلك: لأَنَّ تكون عندي أحب إلي من أن يكون لي مثل أهلي ومالي"[٤].

وخالد بن يزيد بن معاوية (ت ٥١هـ- ٧٧١/ ٩٠- ٧٠٨م)، وهو محدث اهتم باخراج كتب القدماء في الصنعة وكان شاعرًا خطيبًا، فصيحًا حازمًا ذا رأي، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وقد كتب الكيمياء وكان جوادًا وكان يقال له لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة، وله عدة كتب ورسائل وشعر كثير وأن كتبه تميزت بالتنوع والاختلاف فلم تقتصر في علوم الدين وعلوم العربية والأخبار وحسب، يقول ابن النديم: "ورأيت منه خمسمائة ورقة ورأيت من كتبه كتاب الحرارات وكتاب الصحيفة الكبيرة، وكتاب وصيته إلى أبنه في الصنعة"[٥].

واشتهر الأقرع بن حابس التميمي (ت ٣١هـ- ٦٥١م) في علم العرب بزمانه[٦]، وهو يطيب بن عبد العزى أحد أربعة من قريش في العلم بالشعر والأخبار والأنساب [٧].

وكان عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه (ت ٦٠هـ- ٦٧٩م)، عالمًا نسابًا عارفًا بالأمهات بين اللسان وشديد الجواب ولا يقوم له أحد وكان أيضًا أبو الجهم بن حذيفة العدوي (ت القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي)، نسابًا معروفًا كثير الذكر شديد العارضة وكثير الذكر للأمهات بالمثالب[٨].

وكان ابو الخنساء عباد بن كسيب راوية وشاعر ونسابة لهُ حرمة عند الخليفة أبو جعفر المنصور وأبو بكر بن الحكم أيضًا نسابة شاعرًا أحلى الناس

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٢) الفياض، التاريخ، ص٢٥؛ هورنشو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، (القاهرة، ١٩٣٧)، ص٥٤ وما بعدها.
(٣) مصطفى شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط٣، (بيروت، ١٩٨٣م)، ج١، ص٩٣.
(٤) الطبقات، ج٥، ص١٣٧.
(٥) الفهرست، ص٤٣٤.
(٦) ابن حجر العسقلاني، ابي الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ- ١٤٤٩م): الإصابة في تمييز الصحابة، (الهند، ١٩٥٣)، ج١، ص٥٥- ٦٠.
(٧) ابن حجر، الإصابة، ص٤٨.
(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٦٩.

لسانًا وأحسنهم منطقًا وأكثرهم تصرفًا وقيل فيه:

لقد خشيت أن تكون ساحرًا
راويه طورًا وطورًا شاعر (١)

ويذكر الجاحظ عمرو بن خوله ابو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وأمه خوله من المسامعة، وكان ناسكًا يجتمع إليه القراء والعلماء يوم الخميس فقال الشاعر:

أصيح زورك زو الخميس
إليك كمرعية واردة(٢)

والنخار بن اوس بن أبير بن عمرو بن الحارث بن لأبي بن عبد مناف بن الحارث بن سعد بن هذيم (ت ٦٠هـ- ٦٧٩م)، كان نسابًا وله ادراك قال ابن الكلبي عنه كان أنسب العرب (٣).

مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (ت ٥٤هـ- ٦٧٤م)، وأمه رقيقة بن أبي صيني، فولد مخرمة صفوان، وكان يكنى به وهو أكبر ابناءه وأسلم عند فتح مكة وكان عالمًا عارفًا بالأنساب وأنساب قريش وأحاديثهم، فضلاً عن معرفته في أنصاب الحرم فكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعثه مع مجموعة فيجدون أنصاب الحرم لعلمهم بها، واستمر كذلك في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤).

عبد الله بن العباس (ت ٧٨هـ- ٦٩٧م) وهو النموذج الواضح للكتابة الحقيقية في هذه الفترة للكتابة الحقيقية للتدوين تمثلت به فقد ذكر ابن سعد: "رأيت عبد الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها سن أبي رافع شيئًا من فعل رسول الله ﷺ (٥)، وقال فيه أيضًا: "ووضع عندنا كريب حمل بعير، أو عدل بعير كتب ابن عباس، قال: فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه: أبعث إليه بصحيفة كذا وكذا قال: فينسخها فيبعث إليه بإحداهما"(٦).

وقد امتدت المرحلة الأولى حتى مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وكان الاهتمام متوجهًا للتدوين فيها بصورة خاصة، وتحت ضغط الحاجة الدينية والسياسية إلى مواضع محددة من سيرة النبي محمد ﷺ فظهر عبد الله بن عباس، أبان بن عثمان (ت ٩٥هـ- ٧١٣م)، وعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ- ٧١٢م) اللذان رويا (المغازي) وهي جوانب من السيرة النبوية، لأنها تهتم اهتمامًا كبير بهذه الناحية من حياة النبي محمد ﷺ (٧).

ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ- ٧٤١م) أن جيل الزهري هو التالي لأبن عباس، فانتشر فيه التدوين بوضوح، فخلال هذه الفترة ظهر الاهتمام والعناية بالمعارف التاريخية لدى الخلفاء الراشدين، فكان الزهري مع شرحبيل بن حسن (ت ١٢٣هـ- ٧٤٠م)

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٦٩.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٦٩- ١٧٠.
(٣) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص٢٦٤.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٦٩- ٢٧٠.
(٥) المَصدر نفسه، ص٣٢٠.
(٦) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٨٨.
(٧) مصطفى، التاريخ العربي، ج١، ص٩٤- ٩٥.

قد طورا فكرة كتابة السيرة، محاولين جعلها اساسًا لكتابة التاريخ العالمي من خلال سلسلة الأنبياء وخاتم الأنبياء وجعلها اساسًا لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية الذي يبتدأ بسيرة الرسول ﷺ [١].

يقول أبي عمرو بن العلاء وكانت أخباره كثيرة وفضائله شهيرة واختلف المؤرخون في ولادته فمنهم من ذكر سنه سبعين للهجرة وقيل ثمان وستين وقيل خمسة وستين للهجرة بمكة وتوفي سنة ٤ وقيل ٥ وقيل (ت ١٥٩هـ- ٧٧٥م) بالكوفة وقال بعض الرواة مات بالشام وبعضهم بالكوفة، وقيل لما حضرته الوفاة كان يخشى عليه فأفاق من خشيته، وإذا ابنه بشر يبكي قال: وما يبكيك وقد أتى على أربعة وثمانون عامًا، وقيل في رثائه:

رزينا أبا عمرو ولا حي مثله
فله ريب الحادثان بمن فجع
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا
ذوي حله ما في انسداد له طمع [٢]

وكان أعلم الناس بالعرب واللغة العربية والقراءة وبالشعر وأيام الناس، وكانت داره خلف دار جعفر بن سلمان (ت ١٧٤هـ- ٧٩٠م)، وكانت كتبه التي كتبها في العرب الفصحاء قد ملأت بيتًا كان قريب من السقف ثم أحرق كل هذه الكتب ولما رجع بعد إلى علمه الأوّل لم يكن يملك إلا ما حفظ بقلبه، وكانت عامة أخباره عن اعراب قد ادركوا الجاهلية [٣].

الذهبي: "كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما سمع" [٤].

- الحسن البصري بن أبي الحسن بن سيار مولى الأنصار (ت ١١٠هـ- ٧٢٨م)، نشأ بوادي القرى وقيل أنَّه كان من أجمل أهل البصرة [٥]، كان امام اهل البصرة بل كان امام أهل العصر ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسئل الذهبي عن حسن أهل البصرة، فقال: "أصلح الله الأمير أخبرك عنه بعلم أنا جاره إلى جنبه وجليسه في مجلسه، أشبه الناس سريرة بعلانية - وأشبه قولاً بعمل، وأنك قعد على أمر قام به، وأن قام على أمر مقر به، وأن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له رأيته مستغنيًا عن الناس ورأيت الناس محتاجين إليه، قال: حسبك يا خالد كيف يضل قوم هذا فيهم" [٦].

ونستطيع أن نمني المرحلة الأولى من مرحلة التدوين الأولية ويتم التدوين فيها بالطابع الشخصي وبدافع العفوية والمنفعية الدينية أو الاجتماعية والفضول العلمي، وقد بدأت عملية التدوين نقلاً عن الشفاه وعن غيرها من المسجلات (كالوثائق والكتب) المبكرة جدًا وبعضها كان يرقى إلى العهد

(١) مصطفى، التاريخ العربي، ص٩٥.
(٢) اليافعي، أبو محمد عبد الله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ- ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق، خليل المطور، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧)، ط١، ص٢٥٦.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٧٠.
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٢٨٨.
(٥) الدينوري، المعارف، ص٤٤٠- ٤٤١.
(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١، ص٤٧- ٤٨.

النبوي لكنها ما اتسعت ولا وضحت إلا في العصر الأموي، وقد أخذت فيه عدد من الاتجاهات فبعضها للسيرة النبوية وبعضها للأنساب وبعضها لتاريخ اليمن وبعضها للأخبار الفتوح [١].

فعندما بدأ الكُتاب الأوّل كتابة التاريخ وتحديدًا كتابة السيرة النبوية بدأ تظهر في كتاباتهم التقيد الشديد بالمصطلح والأخبار ومما شك في أن هنا الجمهور الواسع من رواة التاريخ كان يشكل الاطار العام من ميول واهتمامات الناس التاريخية، وكما على يد هنا الجمهور من أفراد كانت تجري الخطوات الأساسية والأولى للانتقال بالتاريخ من حالة المعرفة الشفهية إلى المعرفة الكتابية أي من التاريخ المروي إلى التاريخ المكتوب، وأن هذه النقلة كانت تتسم بنوع من التنظيم والاعتراف العام بالأصول والكتابات الشخصية التي سطرها لنفسه كل واحد من هؤلاء الرواة [٢].

المرحلة الثانية: امتدت هذه المرحلة خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كله تقريبًا، واهتم الاخباريون وهي جمع اخباري بجمع أخبار الأحداث المختلفة والأخبار والمواضيع المتنوعة كلها من جميع أفواه الرواة التي كانت كل منها على حدة تحت كتاب يحمل عنوانه الخاص، ومع ان الاهتمام بالسيرة النبوية لم ينقطع في هذه المرحلة إذ لم يتسع ولم ينتظم ويأخذ شكله النهائي المنتظم الأعلى يد أب اسحاق (ت ١٥١هـ- ٧٦٨م)، صاحب أقدم وأكمل سيرة نعرفها الآن [٣]، وأن العناية بالأخبار التاريخية الأخرى صارت أكثر وضوحًا، بل لقد واكبت وزاحمت أحيانًا كثيرة الاهتمام بالسيرة النبوية نفسها، ويعود السبب الرئيسي في ذلك أن السيرة قد استكملت المعارف عنها، وقد أستنزفت كافة المعلومات والمصادر المتعلقة بها وانتظمت في كتب معروفة، في الوقت الذي بدأ الاخباريون ميادين أخرى لفعالياتهم الثقافية والفكرية التي ما تزال مبكرًا [٤]، ومواضيع أخرى تهم الناس اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا لم تطرق أو طرقت في وجهة نظر معينة، فلا بد من كشف الآراء الأخرى فيها، وهكذا اندفع رجال هذه الفترة من الإخباريين في تأليف عشرات من الكتب بل مئات لا شك في أن معظمها أشبه المقالات الموسعة، أو الرسائل الصغيرة وكانت تشكل في مجموعها المادة التاريخية الأساسية لكتابة التاريخ، وقد استقصت أيضًا كافة ما يهم المؤرخ من معرفة المعلومات عن مختلف مواضيع التاريخ الإسلامي خاصة وتاريخ العرب قبل الإسلام وبعض تواريخ الأمم وأبرز الشخصيات التي برزت في المرحلة الثانية:

١- أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ- ٧٧٣م):

وهو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم، وكان جده (مخنف بن سليم) قد صحب النبي

(١) مصطفى، التاريخ العربي، ج١، ص٩٣.

(٢) الحديثي، علم التاريخ، ص١٠٤؛ مصطفى، التاريخ العربي، ج١، ص٩٤.

(٣) مصطفى، التاريخ العربي، ج١، ص٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٩٦- ٩٧.

محمد ﷺ [١]، وهو الأخباري الذي كتب ودون، كان جده مخنف بن سليمان وهو من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد روى عن النبي محمد ﷺ وله العديد من التصانيف في حروب الإسلام وفي الفتوح مثل كتاب فتوح الشام وكتاب الردة وكتاب فتوح العراق وكتاب صفين وكتاب الجمل وكتاب النهروان وكتاب الغارات وكتاب نجدة الحروري وكتاب الحزيت بن راشد وبني ناجية وكتاب مقتل حجر بن عدي وكتاب مقتل علي رضي الله عنه وكتاب مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر وكتاب الأزارقة وكتاب مقتل الضحاك بن قيس الفهري، وكتاب مرج راهط وكتاب مقتل عبد الله بن الزبير وكتاب مصعب بن الزبير والعراق وكتاب المهلب بن أبي صفرة... الخ [٢]، وله اثنان وثلاثين كتابًا تحمل عناوين مختلفة [٣].

٢- عوانة بن الحكم (ت ١٥٨هـ- ٤٧٤م):

هو عوانة بن عياض بن وزر بن عبد الحارث بن أبي حصن بن ثعلبة، كان عالمًا بالآثار والأخبار ثقة، روى عنه الأصمعي والهيثم بن عدي والكثير من الأعيان من أهل العلم، وكان ضريرًا وهو من علماء الكوفة بالأخبار خاصة الفتوح ويعلم بالشعر والعلم والفصاحة وكان موثوق الأخبار روى عنه المدائني وعامة أخباره عنه [٤]، له كتب مثل كتاب سير معاوية وكتاب التاريخ وبني أمية وغير ذلك [٥].

٣- سيف بن عمر الضبي الأسيدي (ت ١٨٠هـ- ٧٩٦م):

وهو مصنف الفتوح والرواة وغيرها، وقد وضع الحديث وقد اتهم بالزندقة [٦]، "يروي عن هشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر وجابر الجعفي، وخلق كثير وروى عنه جبارة بن المغلس وابو معمر القطيعي والنظر ابن حماد العنبكي"[٧]، وكتب في الفتن ووافقه الجمل.

٤-هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ- ٨١٩م):

له أكثر من ١٥٠ كتابًا في مواضيع مختلفة، يسمى صاحب النسب، يقول الخطيب البغدادي فيه: "حدث عن أبيه وروى عنه أبنه العباس وخليفته ابن خياط والعصفري، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن أبي السري، وأبو الأشعث بن أحمد بن

(١) الدينوري، المعارف، ص٥٣٧.
(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ- ١٢٢٨م): معجم الأدباء وارشاد الأديب إلى معرفة الأديب، تحقيق، احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، (بيروت، ١٩٩٣)، ج٥، ص٢٢٥١- ٢٢٥٢.
(٣) مصطفى، التاريخ العربي، ج١، ص٩٧.
(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢١٣٣- ٢١٣٥.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٦٠٢.
(٦) سبط ابن العجمي، برهان الدين ابو الوفا ابراهيم بن محمد (ت ٨٤١هـ- ١٤٣٧م): الكشف الحثيث عن رمي موضع الحديث، تحقيق، صبحي السامرائي، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ط١، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص١٣١.
(٧) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (بيروت، ١٩٦٣م)، ج٢، ص٢٥٥.

المقدام وغيرهم، وهو من أهل الكوفة قدم بغداد، وحدث بها، حدثني محمد بن أبي السري بغدادي، قال: هشام بن الكلبي حفظت ما لم ينسه أحد - كان لي عم يعاتبني على حفظ القُرآنِ الكَرِيمْ فدخلت بيتًا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القُرآنِ الكَرِيمْ، فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يومًا في المرآة فقبضت على لحيتي لأخذ ما دون القبضة فأخذت من فوق القبضة، وقال: أحمد بن ابراهيم، دعاني ابن الكلبي يومًا فاقعدني في بيت خيش فرشه ميساني وأطعمني في يومًا حار فجليته"[1]، كان عالمًا بالنسب وأخبار العرب ووقائعهم وأيامهم ومثالبهم لهُ ما يزيد على مائة وخمسون مصنف في أخبار أوائل اليمن وكتاب الأصنام، وكتاب أديان العرب والخلفاء وأولادهم وصفاتهم ونسائهم وحكام العرب ووصايا العرب وبيوتات اليمن وطسم وجديسي، وكان الأولى وملوك اليمن من التبابعة وكتاب المناقلات وكتاب السيوف وأخبار العباس بن عبد المطلب وكتاب فضائل قيس عيلان وكتاب أصحاب الكهف وكتاب خطبة علي والقاب ربيعة وكتاب الخيل وكتاب المناكح وكتب في المآثر والكنى والمثالب [2].

٥- الواقدي (ت ٢٠٧هـ- ٨٢٢م):

هو محمد بن عمر بن واقد، ابو عبد الله المديني، سمع ابن أبي ذئب، ومعمر بن راشد ومحمد بن عجلان ومحمد بن عبد الله ابن أخي الزهري وابن جريح وربيعة بن عثمان وعبد الحميد بن جعفر واسامة بن زيد وأبا معْشر، وسفيان الثوري وجماعة أخرى، روى عنه كاتبه ابو حسان الزيادي ومحمد بن سعد وأحمد بن خليل البرجلاني ومحمد بن اسحاق الصاغاني وأحمد بن عبيد بن ناصح وعبد الله بن الحسن الهاشمي ومحمد بن شجاع الثلجي والحارث بن أبي اسامة وغيرهم، قدم الواقدي الى بغداد، وولي قضاء الجانب الشرقي منها [3]، وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره، عرف الناس أخباره، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والطبقات والسير وأخبار النبي محمد ﷺ والأحداث التي كانت في وقته وكذلك بعد وفاته النبي محمد ﷺ، واختلاف الناس في الحديث وكتب الفقه وغير ذلك وكان كريمًا جوادًا ومشهور بالسخاء [4].

وعندما تحول الواقدي من الجانب الغربي يقال أنَّه حمل كتبه على عشرين ومائة وقر، وكان يقال كان له ستمائة قمطر كتب، ومن كتبه، كتاب التاريخ والمغازي والبعث ووفاة النبي محمد ﷺ والعمري والرقبى وكتاب يحتوي على اختلاف أهل المدينة والكوفة في الصدقة والشفعة والوديعة وعلى كتب الفقه الباقية، وكتاب يوم الجمل والمناكح وصفين والسقيفة وحرب الأوس والخزرج وفتوح الشام وفتوح العراق وصفين ومولد الحسن والحسين ومقتل

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت، ١٩٩٩)، ج١٤، ص٤٥.
(٢) ياقوت الحموي، معجم الدباء، ج٦، ص٢٧٧٩.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص٢١٣.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج٣، ص٢١٤- ٢١٧.

الحسين، وضرب الدنانير والدراهم والطبقات وأزواج النبي محمد ﷺ وتاريخ الفقهاء، وسيرة أبي بكر ووفاته والترغيب في علم القُرآنِ [١].

٦- الهيثم بن عدي (ت ٢٠٨هـ- ٨٢٣م):

وهو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدي بن خالد ابو عبد الرحمن الطائي البحتري، كان ابوه واسطيًا وكانت أمه من بني منبح ولد في الكوفة ولد ونشأ فيها، ثم انتقل للعيش في بغداد وحدث عنها، وكان اخبارًا وراوية نقل الكثير من كلام العرب وعلومها ولغاتها وأشعارها الكثيرة اختص بمجالس المنصور والمهدي والهادي والرشيد وقد روى عنهم وكان يكنى بعبد الله [٢]، وكان له خمسين كتابًا في أنساب القبائل وولاة الأمصار، والخوارج وخطط الكوفة وخطط البصرة مثل كتاب المعمري وبيوتات العرب وكتاب المثالب وكتاب الوفود، وولاة الكوفة ونسب طي وكنى الأشراف وتاريخ الأشراف الكبير والنوادر وأخبار فارس وكتاب أخبار الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه والتاريخ على النبي وكتاب الأخبار وغير ذلك من التصانيف[٣].

٧- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١١هـ- ٨٢٦م):

وهو من تيم قريش وهو مولى لهم، وله علم الجاهلية والإسلام وله كتاب غريب القُرآنِ الكَرِيمْ وكتاب مجاز القرآن وكتاب الديباج وكتاب جفوة خالد وكتاب الأمثال وكتاب الحيوان وكتاب الرواية وكتاب النصرة، وكتاب خرسان ومفارات مشي واليمن وكتاب معاني القرآن وكتاب خبر عبد القيس وكتاب مرج راهط وكتاب الصنيان وكتاب العلة وكتاب الموالي وكتاب اليمامة وكتاب خوارج البحرين وكتاب خبر أبي بغيض وكتاب الطروفة وغيرها الكثير [٤]، وكان في دار أبي عبيدة من الكتب ما جعل ابن النديم يقول فيه: "كان ديوان العرب في بيته"[٥].

وهو بصري نحوي صاحب تصانيف متعددة حدث عنه أبو عبيدة قاسم بن سلام وعلي بن المديني وأبو عثمان المازني وعمر بن شبه قيل فيه لم يكن في الأرض أحدًا أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة وكان لا يحكي عن العرب إلا الشَّيءَ الصحيح [٦].

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج٦، ص٢٥٩٨.

(٢) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ- ١١٧٥م): تاريخ دمشق، تحقيق، عمر بن عرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٥)، ج٧٤، ص١١١- ١١٢.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٠٣- ١٠٦.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٧٦- ٧٧.

(٥) ابن النديم، الفهرست ، ص٧٦؛ ابو البركات الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ- ١١٨١م): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق، ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط٣، (الأردن، ١٩٨٥)، ج١، ص٨٤.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٨٤.

٨- نصر بن مزاحم (ت ٢١٣هـ- ٨٢٨م):

هو ابو الفضل بن نصر بن مزاحم بن سيار المنقري التميمي الكوفي، عمل عطارًا في الكوفة، كان مؤرخًا ثم سكن بغداد، كان صحيح النقل وكلامه غير منسوب إلى الهوى[١]، وحدث بها سفيان الثوري وشعبة وعبد العزيز بن سياه وحبيب بن حسان ويزيد بن ابراهيم التستري، وزياد بن المنذر وأبي الجارود وأبو الصلت الهروي وروى عنه الحسين بن نصر ونوح بن حبيب القومسي وابو سعيد الأشج وعلي بن المنذر الطريقي وجماعة أخرى من الكوفيين [٢]، ومن كتبه الجمل والغارات وأخبار المختار الثقفي ومقتل الحسين وصفين والجمل والنهروان وأبي السرايا وأخبار محمد بن ابراهيم ويقال أن له خمسين كتابًا [٣].

٩- المدائني (ت ٢٢٥هـ- ٨٣٩م):

وهو ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله العلامة الحافظ الصادق الأخباري صنف العديد من التصانيف ونزل بغداد، وكان متمكنًا في معرفة الأنساب وأيام العرب والسير والمغازي، صادقًا فيما ينقله، كان صادقًا فيما ينقله وعالي الأسناد سمع من أكبر شيخ له وهو قرة بن خالد وشعبه وعوانة بن الحكم وجويريه بن أسماء وأبن أبي ذئب وحماد بن سلمة ومبارك بن فضاله وسلام بن مسكين، ونشأ بالبصرة وحدث عنه الكثير مثل الزبير بن بكار وخليفة بن خياط والحسن بن علي بن المتوكل والحارث بن أبي اسامة وأحمد بن أبي خيثمة وآخرون، كان عالمًا بالمغازي والفتوح والشعر وصادقًا في هذا كله وكان ثقة قيل فيه من كتبه كتاب عهوده وأخبار أهل البيت وأخبار قريش، خطب النبي ﷺ ومن هجاها زوجها وأخبار الشعراء وكتاب فتوحه وسيرة ابن سيرين وقصة أصحاب الكهف والزجر والفال والجواهر وغيرها [٤].

بلغت المرحلة الثانية نهايتها وأوجها بأعمال المدائني الذي ترك لنا مجموعة ضخمة من الكتب تكشف من عناوينها أنها تغطي أخبار قبل الإسلام وأحداث الإسلام وأخبار الخلفاء والتاريخ الحضاري للدولة العربية الإسلامية والتاريخ الأدبي، ولكنها لا تؤلف كتابًا واحدًا ولا عشرة، وإنما تؤلف أكثر من مئتين واربعين كتابًا منفصلاً [٥].

التقاء المرحلة الأولى والثانية من التدوين:

إنَّ جميع المؤرخين الذين عاشوا في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وتوفوا في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي هم يمثلون وعيًا ومهارة تبلورت في قرنين واستقرت على أيديهم وخطة كتاب خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ- ٨٥٤م)،

(١) الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، (بغداد، ٢٠٠٢)، ج٨، ص٢٨.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٣) الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٨.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٩٨.

(٥) مصطفى، التاريخ العربي، ج١، ص٩٨.

تعكس لنا هذه الناحية بدقة فهي لا تعتبر تدوين وإنما هي مهارة ووعي من الكتاب فكتابة خليف بن خياط، يمثل سمات مختلفة مثل التركيز على استمرار الأحداث مرتبة حسب السنين دون أعطاء عناوين فاصلة وتقديم قوائم شهداء المسلمين في مغازي النبي محمد ﷺ وسراياه المهمة فضلاً عن قوائم أخرى، والأهتمام بقوائم الأسناد فالتاريخ عنده تجربة واحدة لأمة وليست تجربة أسر وايراد بعض المعلومات في بعض التنظيمات كالادارة والصدقة والقضاة [١]، أن الطفرة التي مثلها كتاب الطبري (ت ٣١٠هـ- ٩٢٢م)، لم تكن بدون مقدمات، ولهذا السبب اعتبرنا خليفة بن خياط هو نهاية مرحلة في الكتابة التأريخية وبداية مرحلة سوف يمتد أثرها كثيرًا في مستقبل الكتابة التاريخية [٢].

وتمثلت في:

أولاً: كتب النوادر:

ما يلفت النظر بأن ينتشر ما بين أواخر المرحلة الأولى (نهاية القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي) ونهاية المرحلة الثانية أي (أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) عنوان يطرقه العديد من الكتاب هو كتاب النوادر وهم:

١- أبو مسحل وهو اعرابي يكنى أبي محمد وأسمه عبد الوهاب بن حريش قدم إلى بغداد، وافدًا على الحسن بن سهل، وله مع الأصمعي مناظرات في التصريف، وفي النوادر له كتاب الغريب وكتاب النوادر [٣].

٢- أرهمج بن محرر البصري وهو نضر بن مضر من بني أسد بن خزيمة وله من كتب النوادر ما رواه عنه محمد بن الحجاج بن نصر الأنباري رأيته نحو مائة وخمسين ورقة وفيه إصلاح بخط أبي عمر الزاهد [٤].

٣- أبو شبلى العقيلي وكان شاعرًا واسمه الخليج وهو فصيح وفد على هارون الرشيد واتصل بالبرامكة وله كتب في النوادر كتبت بخط عتيق باصلاح عمر الزاهد نحو ثلاثمائة ورقة [٥].

٤- الحياني غلام الكسائي وهو علي بن المبارك ويقال حازم ويكنى أبا الحسن لقي الفصحاء والعلماء من الأعراب وأخذ عنه - أبو عبيد القاسم بن سلام وله من الكتب المصنفة كتاب النوادر [٦].

٥- أبو المضرحي وله كتاب في النوادر يقول ابن النديم: "رأيته بخط أبي سعد" [٧].

٦- الأموي وهو عبد الله بن سعيد وليس من الاعراب دخل البادية ولقي العلماء وأخذ من عظماء

(١) الحديثي، علم التاريخ، ص٩٥- ٩٦.

(٢) الحديثي، علم التاريخ ، ص٩٥- ٩٦؛ للمزيد يُنظُر: هادي، أ. د. رياض هشام: منهج المفسرين في كتابة السيرة النبوية (الطبري أنموذجًا)، بحث مقدم إلى مجلة العلوم الإسلامية، ج٣، ع٥، جامعة الموصل، ٢٠٠٩، ص١٠- ١٣.

(٣) مصطفى، التاريخ العربي، ج١، ص٩٨.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٦٨.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٦٩.

(٦) ابن النديم، الفهرست ، ص٧٠.

(٧) ابن النديم، الفهرست ، ص٧٠.

الاعراب له كتب في النوادر كتاب رحل البيت[١]، والعديد من كتب النوادر[٢].

ثانيًا: الأنساب

إنَّ علم الأنساب أيضًا مرَّ بهاتين المرحلتين الأولى والثانية في هذه الفترات نفسها، فقد دونت هذه الأنساب من أفواه رواتها وبأقلام من اهتموا بها عن القبلية [٣]، كما فعل الفقعسي وهو محمد بن عبد الملك الأسدي فقد روى مآثر بني أسد ومآثرهم[٤].

أما المرحلة الثانية فقد جاء غيرهم وقد كتبوا أنساب كافة القبائل ولكن في كتب منفصلة أيضًا وفي محاولة منهم لتدوينها ومنهم:

١- محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ- ٧٦٣م):

هو هشام بن محمد بن السائب بن شبر وهو عالم بالأنساب وأيام العرب ومثالبهم وأيامهم ووقائعهم، أخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة [٥]، ووضع العديد من الكتب منها كتاب نسب قريش وكتاب الكلاب الأول والكلاب الثاني وهما يومان من أيام العرب، وكتاب نسب معد بن عدنان وكتاب نسب أبي طالب وكتاب ولد العباس وكتاب بني عبد شمس وكتاب بني نوفل بن عبد مناف وكتاب عبد مناف، وكتاب نسب بني عبد الدار بن قصي وكتاب أسد بن عبد العزى وكتاب نسب معد بن عدنان[٦].

٢- أبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠هـ- ٨٠٥م):

وهو سميم بن حفص وسميسم هو لقب واسمه عامر بن حفص، كان عالمًا بالأخبار والمآثر والمثالب والأنساب ثقة فيما يرويه وله كتب منها، كتاب سب خندف وأخبارها ونسب تميم وكتاب نسب أياد كنانة أسد بن خزيمة الهون بن خزيمة هذيل بن مدركة قريش بني طابخة قيس عيلان ربيعة بن نزار تيم بن مرة وغيرها من النسب، وكان يكتب نفس طريقة ما قبله [٧].

ثالثًا: الجانب العسكري:

نستطيع القول أن هذا الموضوع هو الأكثر تبكيرًا في اكتساب استقلالية واضحة بين أشكال وصنوف التاريخية قبل الإسلام فأيام العرب التي هي أخبار حروبهم الداخلية والخارجية فكانت موضع اهتمام قبلي فردي وجماعي تناقله الرواة لصلته الوثيقة بوجود القبلية وتعبر عن مكانتها بين القبائل وسجلهُ الشعراء، أما في الإسلام استبدل العرب الحروب سواء في طابعها العام أو طبيعتها عندما بدأوا بالعناية بمغازي النبي محمد ﷺ وسراياه، وهنا نشأ نوع جديد من الكتابة التاريخية بما يخص المعارك وتوقيتاتها والمشاركين وفيها وأسلحتها ونتائجها وأطراف المعركة[٨]، فوضع عروة بن الزبير قائمة باسماء المشاركين في معركة بدر أصبح الحرص

(١) ابن النديم، الفهرست ، ص١١٦.
(٢) ابن النديم، الفهرست ، ١١٦- ١١٧.
(٣) مصطفى، التاريخ العربي، ص٩٨.
(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٧١.
(٥) ابن النديم، الفهرست ، ص١٢٤.
(٦) ابن النديم، الفهرست ، ١٢٧.
(٧) ابن النديم، الفهرست ، ص١٢٣.
(٨) الحديثي، علم التاريخ، ص١١٦- ١١٧.

والاهتمام بهذا الجانب في الدراسات فالكتابة العسكرية تقليدًا متبعًا يحرص عليه المؤرخون ومنها وقد ذكر ابن النديم كتابين في الجهاد نجهل تحديدهما في القرن الثالث الهجري ولم يصلنا شيء منهما إلا أن طابعهما يوحي بأنها على طريقة أهل الحديث والسنن [١]، إلا أن هناك كتابًا مستقلاً ظهر في وقت مبكر هو كتاب الجهاد لأبن المبارك (ت ١٨١هـ- ٧٩٧م) الذي يُعدُّ بداية الكتب ذات الصفة العسكرية ولم يظهر كتاب بعدها إلا في المرحلة الثالثة [٢]، وسنرد ذكره في حينها.

المرحلة الثالثة: (التدوين)

تمخضت نهاية النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي عن ظهور نخبة من المؤرخين الكبار، فهو التاريخ بمعناه الشامل، وتناولوا التاريخ الإنساني، وكتبوا في موضوعاته المختلفة، وهؤلاء يمكن عدّهم النهاية الطبيعية لخط من التطور المستمر الذي طرأ على علم الأخبار وما يتصل به [٣].

استندت الكتابة التاريخية عند هؤلاء المؤرخين الكبار الذي يمكن نعتهم بالمؤرخين الرواد على أصول مؤكد منها:

١- اتساع افق المؤرخ ليتناول التاريخ بمعناه الشامل بعيدًا عن الأُطر القبلية والدينية والمحلية الضيقة والاتجاهات التي سادت كتابات النصف الثاني من القرن (٢هـ/ ٨م)، فالمؤرخ الذي يتصدى لهذه المهمة الخطيرة لابد من أن يكون أفقه على الدوام عالميًا، فقد ظهرت تواريخ محلية في القرن الثالث الهجري (٣هـ/ ٩م) وبعضها تواريخ مصر من الأمصار، مثل فتوح مصر لأبن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ- ٨٧٠م) والبعض الآخر تواريخ لمدن مثل تاريخ واسط لبحشل (ت٢٨٨هـ- ٩٠٠م)، وتاريخ بغداد، لابن طيفور (ت ٢٨٠هـ- ٨٩٣م) وقد وضع بعض هذه الكتب نتيجة للدراسات المحلية للحديث، فهي تعطي سير المحدثين الذين نشأوا في تلك المدن أو مكثوا فيها مدة من الزمن، وتورد هذه السير على هيئة طبقات والبعض الآخر كتب نتيجة الشعور بالولاء للمدينة (أو للمصر) والاعتزاز بها، وتتضمن هذه التواريخ عادة بعض المعلومات الجغرافية أو الخطط [٤]، فلا يتناول جانبًا بمعزل عن الجوانب الأخرى فالجوانب كلها مترابطة - لأَنَّ ذلك يضعف إلى حد كبير تأثير الاتجاهات السالفة الذكر أمام قوة العملية التاريخية.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٤- ١٢٥.

(٢) ابن المبارك، أبو عبد الرحمن بن واضح الحنظلي (ت ١٨١هـ- ٧٩٧م): الجهاد، منشورات دار النور، (بيروت، ١٩٧١)، ص١- ١٠.

(٣) البهادلي، د. حسين داخل: مقتطفات من كتاب تاريخ على السنين لأبي حسان الحسن بن عثمان الزيادي المتوفى سنة ٢٤٢هـ- ٨٥٦م، جمع ودراسة وتحقيق، (بغداد، ٢٠١٢)، ط١، بيت الحكمة، ص٥.

(٤) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٤٨.

٢- التروي في قبول الخبر التاريخي وعدم تصديقه إلا بعد تحر - وبمعنى أخر أن اختيار المادة التاريخية لا بد أن يخضع باستمرار للنقد وعلى المؤرخ أن يبدي رأيًا إذا تطلب ذلك منه وخاصة إذا كان بحوزته الخبر الواحد الذي يورده روايات متعددة متعارضة أو مختلفة قليلاً أو كثيرًا، لأَنَّ ذلك يعكس قدرته في التعامل مع الخبر التاريخي [١].

٣- على المؤرخ توثيق المعلومات التي حصل عليها من المصادر التي نقل عن طريقها، لأَنَّ ذلك يعكس امانته العلمية من جهة، ولأن التوثيق يُعدُّ أحد أهم الأساليب المتبعة آنذاك ففي بيان مصادر الروايات وسلاسل رواة سندها من جهة أخرى [٢].

٤- التشديد في مسألة ذكر وقت او تاريخ حدوث الحدث التاريخي، إذ على المؤرخ أن يُولي اهتمامًا كبيرًا - لهذا الجانب وأن يتوسع فيه ليشمل ذكر اليوم والشهر، فضلاً عن سنة وقوعه، ولأن ذلك يضفي الموضوعية على ما يورده من أخبار من جهة، ويعزز القيمة التاريخية لمعلوماته من جهة أخرى [٣].

والواقع فإن من ينعتون بالمؤرخين الكبار أو الرواد لم يكن بوسعهم الظهور وتصور لائحة التأليف التاريخي - في هذه الحقبة أو في الحقبة اللاحقة - لو لا تظافر عوامل عدة أسهمت في بناء ثقافتهم التاريخية وفي توجيه مسارهم العلمي والفكري فمن هذه العوامل [٤]:

١- تراكم المادة التاريخية؛ في الحقيقة أن هؤلاء المؤرخين قد استفادوا إلى أبعد غاية ممكنة من المؤلفات التي صنفت قبيل نهاية النصف الأوّل وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي والتي انبرى لتصنيفها جمهرة واسعة من العلماء والاخباريين، وشملت مواضيع كثيرة ومهمة من التاريخ العربي والإسلامي ولاسيما مؤلفات السير والمغازي ومؤلفات الأنساب ومؤلفات الفتوح ومؤلفات التاريخ المحلي والمؤلفات التي صنفها أخباريوا المدرستين - البصرية والكوفية وغيرهما، كما تؤشر نقولات المؤرخين الكبار كانت متيسرة، فأطلعوا على محتوياتها، ونقلوا عن طريقها قطعًا ونصوصًا كثيرة في تصانيف مؤلفاتهم.

٢- توفر وسائل التدوين من ورق ومداد، وسهولة الحصول عليها ولاسيما بعد انتشار صناعة الورق في بغداد، سنة (١٧٨هـ-٧٩٤م)، قد أدى فضلاً في ايجاد بيئات ثقافية وعلمية وفكرية خاصة لنشاطات العلماء، إلى اتساع مُطرد في حركة التأليف والتدوين [٥]. ونخص بالذكر هنا صناعة الورق

(١) البهادلي، مقتطفات من كتاب تاريخ، ص٥.
(٢) البهادلي، مقتطفات من كتاب تاريخ ، ص٦.
(٣) ناجي، د. عبد الجبار: اسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريخية حتى القرن الرابع الهجري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠، آفاق عربية، ص١٧٤-١٧٥.
(٤) البهادلي، مقتطفات من كتاب تاريخ، ص٦- ٧.
(٥) هارون، عبد السلام محمد: تحقيق النصوص ونشرها، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص١٥.

التي عرفها العرب منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وكانت صناعة الورق قد انتقلت إلى العرب من الصين عن طريق سمرقند سنة (١٣٣هـ- ٧٥٠م) وقد عرف ذلك الورق بورق سمرقند، أو ورق خرسان، وقد ظهرت للورق اسواق خاصة، هي اسواق الوراقين، ولقد سهلت صناعة الورق ظهور مهنة الوراقة في العواصم الكبرى كبغداد؛ وترتب على ذلك التوسع الكبير في عمليات نسخ المخطوطات والمؤلفات الشهيرة، مما زاد في سرعة تداولها [١].

٣- حرية الحركة وسهولة انتقال العلماء في مناطق وأقاليم، ومدن الدولة العربية الإسلامية، وقد سهل كثيرًا من مهمتهم في جمع روايات الحديث والفقه والتاريخ، وفي اقتناء أمهات الكتب ونسخها [٢]. فأتسم القرن الثالث الهجري نشط بتناول الأفكار والخبرات، بسبب ذلك تنوعت اتجاهات الكتابة وتعددت دوافعها [٣].

٤- تنامي حركة الترجمة عن اللغات الأجنبية كاللاتينية واليونانية والسريانية والفارسية، وهذا أدى إلى ترجمة كثير من علوم تلك اللغات إلى اللغة العربية، وكانت الترجمة تتم في مؤسسات علمية قامت بهذا الغرض، ومنها على سبيل المثال بيت الحكمة في بغداد، الذي زود بخيرة المترجمين، ومن خلاله ترجم كثيرًا من أمهات الكتب الاغريقية واليونانية، فضلاً عن ترجمة أمهات الكتب الفارسية مما سهل للعلماء الاطلاع عليها، والانتفاع بمعلوماتها، وكانت موردًا رئيسيًا لهم في كثير من الأخبار عن تلك الأمم [٤].

٥- استقرار دواوين الدولة العربية الإسلامية ولاسيما دواوين الجند والخراج والبريد والرسائل وأن ذلك ساعد المؤرخين الكبار في الحصول على الوثائق المهمة مثل العهود الرسمية والمراسلات السياسية في معرفة مُرّد كبار رجال الدولة من الوزراء والأمراء وولاة وعمال وقادة وقضاة وأمراء مواسم الحج وغيرهم، وكذلك المعاهدات المبرمة من سكان المناطق المفتوحة صلحًا أو عنوة وغيرها[٥].

وقد ظهرت في هذه المرحلة على سبيل الذكر لا الحصر مجموعة في المرحلة الثالثة كتب تخص التاريخ العسكري فيعد كتاب الواقدي (ت ٢٠٧هـ- ٨٢٢ م) من المغازي في صنوف كتابة التاريخ العسكري وفي طليعتها وقد اختص بحروب النبي ﷺ سواء في منهجه أو شموليته أم في دقته وكذلك كتاب البلاذري (ت ٢٢٩هـ- ٨٩٢م) فتوح البلدان معبرًا عن تجربة الأمة، في أداء رسالتها من خلال مرحلة الانتشار، ثم بعدها توالت الكتابة فكتب ابن أكثم الكوفي (ت ٣١٤هـ- ٩٢٦م) في كتابه الفتوح، وكذلك الأزدي (ت ٣٣٤هـ- ٩٤٥م)، كتاب فتوح الشام [٦]، وكذلك ما ألفه القرطبي

(١) الوافي، منهج البحث، ص٢٣٧.
(٢) الوافي، منهج البحث، ص٢٣٧.
(٣) الحديثي، علم التاريخ، ص٩٢.
(٤) الوافي، منهج البحث، ص ٢٣٣- ٢٣٤.
(٥) الوافي، منهج البحث ، ص٢٣٥.
(٦) الحديثي، علم التاريخ، ص١١٦- ١١٧.

(ت٣١٨هـ- ٩٣٠م) في كتابه الجهاد لتستمر القائمة بعد ذلك [١].

أما بما يخص الأنساب فإن المرحلة الثالثة تميزت بظهور العديد من النسابة ومنهم هشام الكلبي (ت ٢٠٤هـ- ٨١٩م) وهو يمثل المرحلة الثالثة في التدوين، وهو هشام بن محمد بن سائب بن بشر، وهو عالم بأخبار العرب وبالأنساب وأيامهم ووقائعهم ومثالبهم أخذ عن أبيه ومجموعة من الرواة لهُ العديد من الكتب منها كتاب الأشراف وكتاب القبائل وكتاب الرهان والحلائب وكتاب القبائل فضلاً عن كتب في جمهرة السب والنسب الكبير وكتاب أبناء السراري [٢].

ابو بكر بن عبده بن سلمان (ت قبل ٣٠٠هـ- ٩١٢م)، وقال أنَّه توفى قبل ٣٠٠ للهجرة بقليل وكان لقبه ابن عبده ويكنى أبا عبد الرحمن وهو من النسابي الثقات كان حسن المعرفة بالأخبار والمآثر وأيام العرب وكان متصلاً بخدمة السلطان، توفي وقد ترك من الكتب، كتاب مختصر اسماء القبائل، كتاب النسب الكبير ويحتوي على انساب القبائل على سبيل المثال هشام الكلبي، وكتاب الكافي في النسب ونسب أبي صفرة، وكتاب مناكح آل مهلب وكتاب مناقب قريش وكتاب معد بن عدنان وقحطان وكتاب اشراف بكر وتغلب وأيامهم ومناقبهم وفرسانهم وكتاب نسب بني فقعس بن طريف بن أسد بن خزيمة وكتاب نسب كنانة، وأن أعبده عبدة وغيره مهد الطريق للمرحلة في الإبداع والكتابة[٣].

إنَّ المادة التاريخية قد زادت كمًا ونوعًا مع مرور الوقت وخاصة بعد الاطلاع على مادة المرحلة الثانية فضلاً عن ان مرور القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي، فقد استقرت دواوين الدولة ومرافعها وتمهدت قواعدها فقد تمكن المشتغلون بالتاريخ أن يطوروا من صناعتهم والاستفادة من الاحصائيات والمراسلات والعقود الرسمية والوفيات ومدة ولاية كبار رجال الدولة من ملوك ووزراء وقادة وولاة وعمال فضلاً عن مواسم الحج والحروب الداخلية والغزوات وغيرها [٤].

وعند الدخول في المرحلة الرابعة يظهر شيخ المؤرخين الذي نقل لنا تاريخاً عالمياً ومحلياً وأحداث كاملة الطبري الذي قالت فيه المستشرقة (Lich tenstader) "إنَّ مؤلف الطبري يرتكز على قاعدة تختلف كما سبقته من الكتب - وأن مؤلفه يظهر تحولاً من الأسلوب السابق لعصرهِ، بالرغم من ظهور تأثير الأسلوب القديم في الأمور التفصيلية وخاصة في الأقسام التي تبحث عن تاريخ عرب الجاهلية وصدر الإسلام من مؤلفه- ثم ترى أن الطبري ربما يمثل نموذجًا جديدًا من المؤرخين، وهو مؤرخ منصف لم يكن ميلاً للشعوبية ولم يتعصب لأي جهة"[٥].

(١) الحديثي، علم التاريخ ، ص١١٨- ١١٩.
(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٥.
(٣) ابن النديم، الفهرست ، ص١٣٥- ١٣٦.
(٤) الفياض، التاريخ، ص٢٥- ٢٦.
(5) I, Arabic and Islamic Histor iography The Moslem

الاستنتاجات:

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه والصلاة والسلام على أفضل البرية ممتدًا محمد ﷺ .

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة:

١- إنَّ البواكير الأولى للتدوين التاريخي لم يكن منهجًا أو مخططًا له أو يتبع طريقة معينة، بل كان عبارة عن إيماءات بعيدة ومتشظية لم يعيها العرب حتى بعد أن اعتمدوا الكتابة وانتشرت بهم، لكن وفاة النبي محمد ﷺ والتغيرات الكبيرة التي حدثت في المجتمع العربي الإسلامي فضلاً عن موت العديد من الصحابة مما كان دافعًا مهمًا للتدوين.

٢- كانت الأساطير والاسرائيليات هي المادة الجاهزة الدسمة التي اعتمد عليها العديد من المؤرخين خاصة في البواكير الأولى وذلك لأَنَّ أهل الكتاب كانوا يدونون العديد من الأحداث والسنين التي احتاجها المؤرخين كمادة أولية أقحمت العديد من رواياتهم فضلاً عن كون الأساطير والمبالغة والخرافة التي حملتها في طياتها كانت البدايات الحقيقية للمادة المدونة على الأقل في أيام العرب ومآثرهم وأنسابهم وتفاخرهم بالحروب والأحداث التي مرّت في هذه الفترة.

٣- أيام العرب هي جزء لا يتجزء من تاريخ العرب المسلمين على الأقل في البداية وقد تكون هذه الأيام تحمل شيئًا من المبالغة والخرافة وحتى الأساطير لتكوين تاريخ يحمل مفاخر وعادات وانتصارات ترضي غرور الإنسان وعاداته القبلية وتنمي له روح المتعة والانتصار، ومع هذا فإن الأيام هي مادة أولية تحمل العديد من المعاني صاحبت الكتابات الأولى.

٤- الشعر هو ديوان العرب منه يأخذون ومنه يصيرون فهو منتهى حكمهم، فالقراء في الجاهلية مثلوا طبقة تسمى طبقة الشعراء كانوا أهل معرفة وأعلم أهل زمانهم وليس من الضروري أن يكون كلامهم منظم بقدر ما كان يعبر عن الأنساب ومثالب القبلية ومناقبهم فكان لهم القدم الراسخة في معرفة أخبار العرب وسيرهم وأحلامهم فهو كان سجل معارفهم وخزانة لمعلوماتهم، فكانت القبلية التي يخرج منها شاعر تحتفل به وتقام الولائم والاحتفالات فرحًا به.

٥- الكتابة كانت مستخدمة لدى العرب قبل الإسلام وحتى في جاهليتهم فقد اختلطوا مع الأمم السابقة بالفرس والروم والأحباش وكانت لديهم المعاملات التجارية، ولثقافة المجتمع وتطوره كان من الأسباب الرئيسية إلى النضوج والتطور فيها ولكن مع هذا فلم تظهر الكتابة إلا في النصف الثاني من القرن الثاني/ الثامن الميلادي رغم وجود العديد من الاشارات والمدونات التي تؤكد على بدايتها مثل هذا الوقت.

٦- لقد كان لجمع القُرآنِ الكَرِيمْ تأثير على الاهتمام بالحفاظ على أحاديث النبي محمد ﷺ وما ورد عنه خاصة بعد وفاة العديد من الصحابة والتابعين، فبدأ الاهتمام بسير مغازي النبي محمد ﷺ التي كانت البدايات الحقيقية للتدوين

World April, 1954, P. 1- 19.

التاريخي ثم انتقلت الكتابة إلى مرحلة أكثر تطور ووعي ومهارة وهي مرحلة إلى الاهتمام بالأنساب والجهاد وهي جوانب مهمة لدى العرب المسلمين، ثم انتقل التدوين إلى مرحلة ثالثة وهي التدوين لكل الجوانب المهمة في حياة العرب المسلمين.

٧- إنَّ اتساع افاق المؤرخ جعلت منه كاتبًا يتناول التاريخ بمعناه الشامل بعيدًا عن الأطر المحلية والقبلية والدينية والاتجاهات الضيقة، فبدأ الاهتمام بالتواريخ المدن والأمصار والعواصم المهمة وكذلك التروي في الخبر التاريخي وتوثيق المعلومات بكل دقة وثقة وأمانة، فضلاً عن التشديد في ذكر التواريخ والأوقات والسنوات وذلك لتراكم المادة التاريخية ووفرتها.

***

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القُرآنِ الكَرِيمْ.

ثانيًا: المصادر الأولية.

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٩٧)

٢- الباجي، سلمان بن خليف (ت ٤٧٤هـ- ١٠٨١م)

- الجرح والتعديل، تحقيق، احمد البزاز، وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية، (مراكش، د. ت).

٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م).

- الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، (الرياض، ١٩٩٨).

- التاريخ الكبير، تحقيق، محمود ابراهيم زايد، فهرست: يوسف المرعشي، دار المعرفة، (بيروت، د. ت).

- صحيح البخاري، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (اسطنبول، ١٩٨١).

٤- أبو البركات الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ- ١١٨١م)

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق، ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط٣، (الأردن، ١٩٨٥)

٥- البزاز، ابو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله (ت ٢٩٢هـ- ٩٤٠م)

- مسند البزاز، تحقيق، عادل عبد سعد، مكتبة العلوم والحكم، (المدينة المنورة، ٢٠٠٩).

٦- البغدادي، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت ٢٤٥هـ- ٨٥٩م)

- المحبر، تحقيق، أيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، د. ت).

٧- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ- ٨٩٢م): فتوح البلدان، مطبعة لجان البيان العربي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، د. ت).

٨- البيهقي، ابو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ- ١٠٦٥م)

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٤).

٩- ابن تغري بردى، ابو المحاسن بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ- ١٤٦٩م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، (مصر، د. ت).

١٠- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن عمر (ت ٢٥٥هـ- ٨٦٩م)

- البيان والتبيين، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٧، (القاهرة، ١٩٨٨).

١١- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن (ت٥٠٨هـ/٥٩٧م)

- تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن الأرقم، ط١، (بيروت، ١٩٩٧).

- صفة الصفوة ، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٠)

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٢).

١٢- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب شلبي (ت ١٠٦٧هـ- ١٦٥٦م)

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، (بغداد، ١٩٤١).

١٣- ابن حبان، محمد بن احمد البستي التميمي (ت ٣٥٤هـ- ٩٥٦م)

- الثقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الدكن، ١٩٧٣).

١٤- ابن حجر العسقلاني، ابي الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ- ١٤٤٩م)

- الإصابة في تمييز الصحابة، (الهند، ١٩٥٣).

١٥- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت ٤٦٣هـ- ١٠٧٠م)،

- تاريخ بغداد، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت، ١٩٩٩).

- تقييد العلم، مركز احياء السنة النبوية، (بيروت، د. ت)..

١٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ولي الدين (ت ٨٠٨هـ- ١٤٠٥م)

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاذه، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٨).

١٧- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ- ١٢٨٢م)
- وفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان، تحقيق، احسان عباس، دار الثقافة (لبنان، د. ت).
١٨- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، (بيروت، ١٩٩٣).
- سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٦).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (بيروت، ١٩٦٣م).
١٩- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ- ١١٠٨م)
- المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر كتاب، ط٢، (قم، ١٩٨٣).
٢٠- أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م)
- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني، مجمد اللغة العربية، (دمشق، د.ت).
٢١- سبط ابن العجمي، برهان الدين ابو الوفا ابراهيم بن محمد (ت ٨٤١هـ- ١٤٣٧م)
- الكشف الحثيث عن رمي موضع الحديث، تحقيق، صبحي السامرائي، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ط١، (بيروت، ١٩٨٧م).
٢٢- ابن سعد، أبو عبد الله محمد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)
- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٠).
٢٣- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):
- الاتقان في علوم القرآن، تحقيق، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، ط١، (السعودية، د. ت).
- تدريب الراوي في شرح تقريب النوادي، تحقيق، ابو قتيبة، مراجعة محمد الفاريابي، دار طيبة.
- الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، (د. ت).
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٨).
٢٤- ابن صلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٤م)
- مقدمة ابن صلاح، تحقيق، وشرح وتخريج، ابو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عوضة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٥).
٢٥- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ- ٩٤٦م)
- أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجت الأثري، السيد محمود شكري الآلوسي، المكتبة العربية، المطبعة السلفية، (مصر، بغداد، ١٩٢٢).

٢٦- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)
- تاريخ الطبري، دار التراث، ط٢، (بيروت، ١٩٦٧).
٢٧- ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣هـ- ١٠٧٠م)
- جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧٧).
٢٨- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ- ١١٧٥م)
- تاريخ دمشق، تحقيق، عمر بن عرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٥).
٢٩- ابن العمري، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ- ١١٨٤م)
- الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق، قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط١، (القاهرة، ٢٠٠١).
٣٠- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)
- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، (القاهرة، ١٩٩٢).
٣١- ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)
- المغنى، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، (بيروت، د. ت).
٣٢- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ- ١٣٤٨م)
- أنباه الرواة في أنباه النحاة، المكتبة العصرية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٣).
٣٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)
- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث الغربي، ط١، (بيروت، ١٩٨٨).
٣٤- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن بن واضح الحنظلي (ت ١٨١هـ- ٧٩٧م)
- الجهاد، منشورات دار النور، (بيروت، ١٩٧١).
٣٥- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ- ٩٥٧م)
- مروج الذهب ومعادن الجواهر، تقديم: قاسم وهب، الأشراف الفني: زهير الحمو، (بيروت، ١٩٨٨).
٣٦- مسلم النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن ورد (ت ٢٦١هـ- ٨٧٤م)
- صحيح مسلم، دار الفكر، (بيروت، د. ت).
٣٧- المعافري، جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب (٢١٣هـ/٨٢٨م)
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، (مصر، ١٩٥٥).
٣٨- المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (٨٤٥هـ/١٤٤١م)
- امتاع الاستماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفده والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد التميمي، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٩).
٣٩- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن اسحاق

الوراق (ت ٤٣٨هـ- ١٠٤٦م)
- الفهرست، تحقيق، ابراهيم رمضان، دار المعرفة، ط٢، (بيروت، ١٩٩٧).
٤٠- الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت ٣٦٠هـ- ٩٧٠م)
- الأكليل، تحقيق: اوسكار لوفكرن، (ابسالا، ١٩٥٣).
٤١- وهب بن منبه، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أسد (ت١١٤هـ/٧٤١م)
- التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط٢، (صنعاء، ١٩٧٩).
٤٢- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ- ١٣٦٦م)
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق، خليل المطور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٧).
٤٣- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ- ١٢٢٨م)
- معجم الأدباء وارشاد الأديب إلى معرفة الأديب، تحقيق، احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، (بيروت، ١٩٩٣).

ثالثًا: قائمة المراجع:

٤٤- أحمد، كمال زكي
- الأساطير دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، (بيروت، ١٩٧٤).
٤٥- اسماعيل، محمود
- سيوسيولوجيا الفكر الإسلامي، محاولة تنظير، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د. م، ١٩٨٠).
٤٦- الأسدي، سعاد مقداد ناجي
- اتجاهات الكتابة التاريخية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (دراسة تحليلية)، دار ومكتبة عدنان، ط١، (بغداد، ٢٠١٨).
٤٧- الآلوسي، محمد شكري البغدادي
- بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٨٩٦).
٤٨- أمين، أحمد
- فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٦٩).
٤٩- البهادلي، د. حسين داخل
- رواية فتوح جنوب العراق دراسة في الموارد والمضمون ١١- ١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م، بيت الحكمة، ط١، (بغداد، ٢٠١٢)
٥٠- حجاب، د. محمد نبيه
- بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط٢، (مكة المكرمة، ١٩٨٦).
٥١- الحديثي، نزار عبد اللطيف
- علم التاريخ عند العرب، منشورات المجمع العلمي، (بغداد، ٢٠٠١).
٥٢- الحيدري، عباس عاجل جاسم
- رؤية المؤرخين المسلمين للحروب الصليبية دراسة في تطور المفهوم والعوامل المؤثرة فيها، دار ومكتبة البصائر، ط١، (بيروت، ٢٠١٠).
٥٣- الحوفي، أحمد

- الحياة العربية في الشعر الجاهلي، (القاهرة، ١٩٤٩).

٥٤- الخالدي، محمود

- الأحوال الفكرية للثقافة الإسلامية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (عمان، د. ت).

٥٥- خان، محمد عبد المعيد

- الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، ط٣، (بيروت، ١٩٨١).

٥٦- خضر، عبد العليم عبد الرحمن

- المسلمون وكتابة التاريخ (دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ)، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط١، (١٩٩٣، الولايات المتحدة الأمريكية).

٥٧- الدوري، عبد العزيز

- نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٧).

٥٨- الذهبي، محمد السيد حسين

- التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، (القاهرة، د. ت).

٥٩- الزركلي، خير الدين

- الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، (بغداد، ٢٠٠٢).

٦٠- زيدان، جرجي

- تاريخ آداب اللغة العربية، تعليق ومراجعة، د. شوقي ضيف، دار الهلال، (مصر، ١٩٥٧).

٦١- سالم، السيد عبد العزيز

- تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة الشباب الجامعة، (الاسكندرية، د. ت).

٦٢- الستار، محمد الغزالي

- فقه السيرة، تخريج الأحاديث، محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، ط١، (دمشق، ٢٠٠٦).

٦٣- السلمي، محمد بن صامل

- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، وتدريسه، مطبعة الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٤- الشكعة، د. مصطفى

- مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب)، دار العلم للملايين، ط٦، (بيروت، ١٩٩١)..

٦٥- طرابيشي، جورج

- اشكاليات العقل العربي، دار الساقي، ط١، (بيروت، ١٩٨٨).

٦٦- طه، عبد الواحد ذنون

- أصول البحث التاريخي، دار المدار الإسلامي، ط١، (بنغازي، ٢٠٠٤).

٦٧- عبد الحميد، صائب

- علم التاريخ ومناهج المؤرخين، دار ومكتبة البصائر، ط٢، (بيروت، ٢٠١٠).

٦٨- عثمان، د. محمد فتحي

- المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، ط١، (بيروت، ١٩٩٢).

٦٩- العجلان، عبد الله

- حركة التجديد والإصلاح في نجد، ط١، (نجد، ١٩٨٩).

٧٠- العزاوي، عبد الرحمن حسين

- التاريخ والمؤرخون، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩٣).

٧١- عفيفي، محمد الصادق
- تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٦- ١٩٧٧).
٧٢- علي، جواد
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط٤، (بيروت، ٢٠٠١).
٧٣- عنتر، نور الدين
- المدخل إلى علم الحديث بمقدمة علوم الحديث لابن صلاح، المكتبة العلمية، ط١، (المدينة المنورة، ١٩٧٢).
٧٤- فياض، د. عبد الله
- التاريخ فكراً ومنهجاً (دراسة في التاريخ وأصول بحثه)، مطبعة أسعد، (بغداد، ١٩٧٢).
٧٥- قاسم، د. قاسم عبده
- فكرة التاريخ عند المسلمين قراءة في التراث التاريخي العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، (مصر، ٢٠٠١).
٧٦- كاشف، سيدة
- صادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مكتبة الخانجي، ط٢، (القاهرة، ١٩٧٦)
٧٧- الكروي، ابراهيم سلمان
- شرف الدين، عبد التواب: الحضارة العربية الإسلامية، دار السلاسل، ط٢، (الكويت، ١٩٨٧).
٧٨- محمود، اسماعيل
- سيوسيولوجيا الفكر الإسلامي، محاولة تنظير، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د. م، ١٩٨٠).
٧٩- المشهداني، د. محمد جاسم حمادي
- التدوين التاريخي عند العرب، (مدرسة بغداد، التاريخية انموذجًا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (بغداد، ٢٠١٣).
٨٠- مصطفى شاكر
- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط٣، (بيروت، ١٩٨٣م).
٨١- معروف، ناجي
- أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، ط٣، (بيروت، ١٩٧٥).
٨٢- مهران، محمد بيومي
- دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعارف، ط٢، (القاهرة، د. ت).
٨٣- موافي، د.عثمان
- منهج النقد التاريخي (الإسلامي- والمنهج الأوربي)، دار المعرفة الجامعية، (د. ت).
٨٤- المولى، محمد أحمد جاد علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم
- ايام العرب في الجاهليين، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٤٢).
٨٥- مؤنس، د. حسين
- دراسة في علم التاريخ، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٤).
٨٦- هارون، عبد السلام محمد
- تحقيق النصوص ونشرها ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (القاهرة، ١٩٦٥).
٨٧- الوافي، د. محمد عبد الكريم

- منهج البحث في التاريخ والتدين التاريخي عند العرب، منشورات جامعة قازيونس، (بنغازي، د. ت).

٨٨- ناجي، د. عبد الجبار

- اسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريخية حتى القرن الرابع الهجري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠.

رابعاً: المراجع المعربة :

٨٩- دي . بور ت. ج

- تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ط٢، (القاهرة، ٢٠١٠)

٩٠- دي لاي، أوليري.

- الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٧٢).

٩١- راڤين، ك. ك

- الأسطورة، ترجمة: صادق الخليلي، منشورات عويدات، (بيروت، ١٩٩٠).

٩٢- روزنثال، فرانز

- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: د. صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط٢، (بيروت، ١٩٨٣)

٩٣- شريعتي، علي

- الإنسان والتاريخ، ترجمة: خليل علي، تحقيق: محمد بزّي، دار المعرفة، ط٢، (بيروت، ٢٠١٠).

٩٤- فين، بول

- أزمة المعرفة التايخية فوكو وثورة المنهج، ترجمة وتقديم: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، (القاهرة ١٩٦٣).

٩٥- مرغوليوث، دايفيد

- دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة: د. عمار نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، (القاهرة، ٢٠٠١).

٩٦- هورنشو

- علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، (القاهرة، ١٩٣٧)

خامساً: البحوث والدوريات :

٩٧- سمرة، د. محمود أحمد البرغوثي، د. د. عماد أحمد

- منهجية البحث العلمي عند المسلمين، بحث مقدم إلى مجلة الجامعة الإسلامية، مج١٦، ع٢، (القدس، د. ت)

٩٨- العلي، د. صالح

- الرواية والاسناد، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٣١، (بغداد، ١٩٨٠)،

٩٩- القضاة، د. علي مصطفى

- المراحل التاريخية لعلم مصطلح الحديث وأشهر ما صنف فيه، بحث منشور في دورية كان التاريخية، ع ٤، (الأردن، ٢٠٠٩)

١٠٠- هادي، أ. د. رياض هشام

- منهج المفسرين في كتابة السيرة النبوية (الطبري أنموذجًا)، بحث مقدم إلى مجلة العلوم الإسلامية، ج٣، ع٥، جامعة الموصل، ٢٠٠٩

سادساً: المراجع الأجنبية:

101- Lich tenstader: I, Arabic and Islamic Histor iography The Moslem World April, 1954.